

المهدويّة والخلاص في الفكر الصيني

«قراءة نقدية استراتيجية»

مجتبى السادة (*)



(*) باحث في الفكر الإسلامي / القطيف.

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف مفهوم الخلاص عند حضارتين مختلفتين بوصفه قضيةً مركزيّة ذات بُعدٍ سماويٍّ واستراتيجيٍّ، وذلك من خلال قراءة نقديةٍ مقارنةٍ بين:

الرؤية المهدويّة في الفكر الإسلامي، بوصفها وعدًا إلهيًا مرتبطًا بالعدل الإلهي ومصير البشرية جمعاء.

الرؤية الصينية الحديثة للخلاص، بوصفها مشروعًا دنيويًا يسعى إلى تحقيق التنمية الماديّة والقوميّة دون أفقٍ معنويٍّ أو روحي.

تحلل الدراسة أوجه التماثل والاختلاف بين الرؤيتين من منظورٍ استراتيجيٍّ وعقديٍّ، مبيّنة مدى استجابة كلّ منهما لأسئلة المصير والنجاة، وذلك عبر أدواتٍ وتصوراتٍ متباينة جذريًا.

كما تتناول العلاقة الجدليّة بين الرؤية المهدويّة والنموذج الصيني، مقارنةً بين الوعد الإلهي الذي يبشر بالخلاص الشامل في إطار العدالة الربانية، والمشروع الصيني الذي يسعى إلى خلاصٍ دنيويٍّ عبر أدوات القوة والتخطيط التنموي.

ويخلص البحث إلى أنّ فهم طبيعة الخلاص في كلا النموذجين -بين الوعد الإلهي والمشروع المادي- لا يقتصر على إبراز التباين العقديّ فحسب، بل يكشف عن جدليّة استراتيجيّة بين رؤيتين للإنسان والمصير والتاريخ: إحداهما تتطلع إلى جنّة أرضيّة فيما تنظر الأخرى إلى جنة الأرض والسماء معًا.

ومن هنا، تصبح هذه المقارنة ضرورةً فكريّة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل.

الكلمات المفتاحية:

الخلاص، الفكر الصيني، المادية، الكونفوشيوسي، الطاوي، الموهيستي، البوذي، المهدوية الإسلامية، المنقذ.



مقدّمة تمهيدية

لم تكن فكرة الخلاص حلمًا عابرًا في تاريخ الفكر الإنساني، بل تعبيرٌ جوهرى عن القلق الذي لازم الإنسان منذ اللحظة الأولى التي وعى فيها هشاشته أمام تحديات الحياة، واعترافه بضعفه ومحدوديته في مواجهة قوى الشرّ والمصير المجهول. وقد دفع هذا القلق البشر عبر الحضارات المختلفة إلى صياغة تصوّرات متنوعة ومتمايزة لمفهوم الخلاص، تتجاوز حدود المعتقدات لتصبح حاجة إنسانية ملحّة لدى جميع الشعوب والحضارات.

وفي هذا الإطار، تبرز الرؤية الإسلامية (المهدويّة) التي تعدّ بظهور مصلح يعيد التوازن إلى العالم، وقيم العدل. غير أنّ هذه الرؤية على أهميّتها، ليست استثناءً حضاريًا. بيد أنّ السؤال الجوهرى الذي يفرض نفسه في سياق الفكر العالمي المعاصر هو: هل يقتصر مفهوم الخلاص على الحضارات الإبراهيمية، أم أنّ حضارات أخرى، وفي مقدمتها الحضارة الصينية، تملك رؤى موازية، وإن اختلفت في شكلها ومضمونها، أو تلامس هذا الأفق من زوايا مغايرة؟

ينطلق هذا البحث من سؤال محوري: كيف تصوّر الصينيون مفهوم الخلاص عبر تاريخهم الفكري الطويل، وإلى أيّ مدى يمكن عدّ رؤيتهم بنية موازية أو متقاطعة مع المهدويّة الإسلامية؟ ويتفرّع عن هذا السؤال عددٌ من الاستفهامات، أبرزها:

- ما الجذور الفلسفية والتاريخية للرؤية الخلاصية في الصين حاليًا؟
- كيف أثّرت السياقات التاريخية والسياسية في تشكيلها وتحولاتها؟
- ما أوجه الالتقاء والافتراق بينها وبين المهدويّة في بعدها الإنساني ومنطلقاتها الحضارية؟

تنبع أهمية هذا البحث من كون فهم الخلاص الصيني يفتح آفاقاً جديدةً لاستكشاف نسق فلسفيّ مغاير للأنماط المألوفة التي هيمنت على تأويلات الرؤى الخلاصيّة ضمن الأطر الفكرية للأديان السماوية. وما يميّز هذا التوجّه الفكري استقلاليته منهجياً، واختلاف منطلقاته وغاياته، ما يعدّ مدخلاً لتعزيز الحوار بين الحضارات.

ومن خلال مقارنة الأطروحة الصينيّة مع المهدويّة الإسلاميّة، يتيح البحث إمكانيّة:

- التعريف بالمهدويّة الإسلاميّة بوصفها إطاراً قرآنيّاً للتعارف والحوار الحضاري.

- الوصول إلى فهم أعمق للتصورات غير السماوية عن الخلاص، وما تحمله من دلالات إنسانية مشتركة.

- دراسة التحوّلات والتطوّرات في الرؤية الخلاصيّة الصينيّة، بوصفها نموذجاً حضاريّاً له وزنه في الفكر العالمي المعاصر.

وعليه، فإنّ الغاية الأساسيّة من هذا البحث تتمثّل في الكشف عن الجذور الفلسفيّة والاستراتيجيّة لمفهوم الخلاص في الصين، ورصد مسار تطوّره وصولاً إلى الرؤية المعاصرة. كما يسعى إلى إجراء مقارنة جادّة مع المهدويّة الإسلاميّة، بغية بلوغ الوعي العميق بخصوصيّة المشروع المهدوي وتميّزه ضمن الخارطة الفكرية للبشرية، من خلال تتبّع مسارات التشابه والاختلاف بين التصوّر المهدوي للخلاص، والرؤى الأخرى التي صاغتها الحضارات في سعيها نحو العدل والمعنى والكمال الإنساني.

إنّ فهم الخلاص في الفكر الصيني يضعنا أمام خريطة فكرية مغايرة، إذ يقدم نموذجاً مستقلاً في بنائه، يقوم على الواقعيّة الأخلاقية والإنسانية، ويعالج



الخلاص بوصفه فعلاً اجتماعياً وأخلاقياً ومادياً، لا غيبياً مؤجلاً. فهو فكر يبدأ بالإنسان وينتهي إليه، ويسعى لتحقيق التوازن في علاقاته مع ذاته والمجتمع والكون، مؤمناً بأن الانسجام والعدالة هما طريقا الخلاص الحق في هذا العالم.

مفهوم الخلاص في الفكر الصيني

يمثل مفهوم الخلاص في الفكر الصيني نسيجاً فريداً ومتميزاً، تشكّل عبر آلاف السنين من التجربة الحضاريّة. وهو يختلف عن نظيره في الثقافات ذات الطابع الديني السماوي التي ترتبط غالباً بالخلاص من الخطيئة، أو النجاة في الآخرة، أو التدخل الإلهي لإنقاذ البشرية من الظلم والفساد. أمّا في السياق الصيني، فإنّ الخلاص لا يفهم بوصفه حدثاً طارئاً يأتي من خارج الإنسان والمجتمع، ولا وعداً غيبياً مؤجلاً، بل ينظر إليه كعمليةٍ داخليةٍ وتدرجيةٍ، تنبع من الانسجام مع البيئة والمجتمع والعالم، وتتحقق من خلال فهم قوانين الطبيعة والسير وفقاً لها. يتجلّى جوهر الخلاص في الفكر الصيني في سعي المجتمع بأسره نحو تحقيق (انسجام كلي) على المستوى الوطني، يفضي إلى السلام والطمأنينة والرفاه لأبناء الأمة؛ ومن هنا، لا يتجّه هذا الخلاص إلى الخلاص من العالم، بل إلى الخلاص فيه، عبر إعادة ترتيب علاقة الإنسان بذاته، ومجتمعه، والكون من حوله.

الخصائص والسمات الرئيسة لمفهوم الخلاص الصيني

١. الخلاص بوصفه تحرراً جماعياً من المعاناة المادية: لا ينظر إلى الخلاص في الفكر الصيني بوصفه مسألةً فرديةً بحثة، بل مسألةً مرتبطةً بالمجتمع والبيئة والكون؛ ولذلك، لا يرتبط بفداءٍ شخصيٍّ أو خلودٍ روحيٍّ، بل يفهم على أنّه تحقيق الرفاهية والاستقرار المادي للمجتمع كلّ. يتجلّى ذلك في القضاء على الفقر والمرض والضعف الوطني، انطلاقاً من فكرة أنّ خلاص الفرد لا يكون إلّا بخلاص الجماعة. وقد تجسّدت هذه الرؤية تاريخياً في مشاريع الري الكبرى خلال العصور الإمبراطورية، كما تجلّت حديثاً في سياسة (القضاء على الفقر

المدقع) التي قادتها الصين خلال العقود الأخيرة.

٢. الخلاص بوصفه تحقيقاً للانسجام والنظام: في التصور الصيني، ينظر إلى العالم على أنه محكومٌ بنظامٍ متوازن، وأنَّ أيَّ اختلالٍ فيه ينعكس سلباً على الإنسان والمجتمع. ومن ثم، لا يتحقق الخلاص عبر مقاومة العالم أو تغييره، بل عبر فهم قوانين الطبيعة والاندماج فيها. ولكي يُخلَّص الإنسان ذاته، لا بد أن يتناغم مع هذا النظام في سلوكياته ومشاعره وأفكاره. فالمسألة ليست أخلاقيةً محضة؛ بل هي تصحيحٌ للاختلالات الداخلية في شبكة العلاقات بين الإنسان والمجتمع والطبيعة. ويتجلَّى ذلك في العيش وفق إيقاع الحياة، وتحقيق الاستقرار الاجتماعي عبر الالتزام بالأدوار والقواعد المجتمعية.

٣. الخلاص بوصفه عمليةً تراكميةً للتجربة الإنسانية: على خلاف النماذج الدينية (الإبراهيمية) التي ترتبط غالباً بحدثٍ غيبيٍّ مفاجئ، أو نهايةٍ دراماتيكيةٍ للعالم؛ يصوّر الخلاص في الفكر الصيني كمسارٍ تدريجيٍّ تُبنى مراحله عبر الجهود البشرية المنظمة، والتراكم في استخدام الموارد والمعرفة.

يقاس هذا الخلاص بمؤشراتٍ ملموسةٍ مثل:

- قوّة الدولة الاقتصادية والعسكرية.

- تحسين جودة الحياة المادية للمواطنين.

- استعادة المكانة الدولية والثقافية للأمة.

وعليه، فإنّ الخلاص في الرؤية الصينية عمليةٌ دنيويةٌ قابلةٌ للتخطيط والإدارة، تشبه مشروعاً تنموياً استراتيجياً وطنياً، وهو رحلةٌ تراكميةٌ من الإصلاح والتقدم، حيث تتحسن الأوضاع تدريجياً حتى تبلغ ذروة الازدهار والسلام.



٤. الخلاص بوصفه استعادةً لمكانة الأمة لا خلاصاً عالمياً: من أبرز ملامح مفهوم الخلاص في الفكر الصيني تركيزه على البعد القومي والوطني بنحو حصري، حيث يفهم أساساً على أنه استعادة لمجد الأمة الصينية التاريخي، لا خلاصاً للبشريّة جمعاء. وهذه السمة تنبع من:

- المركزية الثقافية الصينية: إذ ترى الصين نفسها (المملكة الوسطى)^[١] التي ينبغي أن تعود إلى مركز العالم حضارياً واقتصادياً.

[١] مصطلح (المملكة الوسطى): وفقاً للمفهوم الصيني الحالي، يعرف هذا المصطلح بأنه جوهر (حلم النهضة العظيمة للأمة الصينية) نفسه. ويعود تاريخياً إلى منطقة السهول الوسطى حول النهر الأصفر (هوانغ هي)، التي كانت مهد الحضارة الصينية خلال عصور أسرتي شانغ (حوالي ١٦٠٠-١٠٤٦ ق.م) وتشو (١٠٤٦-٢٥٦ ق.م). وقد كانت هذه المنطقة الأكثر تقدماً من النواحي الزراعية والثقافية والسياسية.

أما المعنى الثقافي والحضاري للمصطلح - وهو الجانب الأهم - فيكمن في مقابلة هذه (المملكة المتحضرة) في الوسط بمجموعات قبلية على الأطراف توصف في النصوص التاريخية بأنها (همج)، أو (برابرة) كالمانشو، والمغول، والتبتين وغيرهم. وهكذا تحول مفهوم (المملكة الوسطى) إلى فكرة ثقافية أكثر منها جغرافية، وهو يمثل:

مركز العالم الحضاري: المكان الذي تتركز فيه الثقافة المتقدمة، والأخلاق، والنظام الاجتماعي، والفنون، والهيكل السياسي (كما يتجلى في الفكر الكونفوشيوسي).

الشرعية السياسية: الإمبراطور الذي يحكم (المملكة الوسطى) هو (ابن السماء)، والحاكم الشرعي للعالم بأسره من المنظور الصيني التقليدي، حتى لو لم يسيطر عليه فعلياً.

الهوية الثقافية: الانتماء إلى (المملكة الوسطى) يعني الانتماء إلى دائرة الحضارة المتقدمة والتماهي معها.

وعندما يذكر هذا المصطلح في الخطاب النهضوي أو الخلاصي المعاصر، فإنه يعني بنحو أساسي استعادة ذلك المجد الحضاري والموقع المركزي الذي فقدته الصين. كما يشير (الحلم الصيني) إلى العودة إلى الحقبة التي كانت فيها الصين قوية ومزدهرة ومتقدمة تقنياً (كاختراع الورق والبارود)، ومركزاً للتجارة والثقافة العالمية (كما في طريق الحرير). إنه يعبر عن حنين إلى حالة من العظمة السابقة. وفلسفياً، يمكن عد المفهوم تجسيداً سياسياً وجغرافياً للعديد من الأفكار الكونفوشيوسية عن المجتمع المثالي، التي تمثل في جوهرها تصوّراً للمدينة الفاضلة.

- مصدر المعلومات: ويليامز ويلز، تاريخ الصين: الفصول التاريخية من المملكة الوسطى، القسم الأول ص ١-٥٣.

“Williams Wells, A History of China “the middle kingdom-

- الاستجابة لصدمة التاريخ الحديث: بعد «قرن الإذلال»^[١] (١٨٤٠ - ١٩٤٩)، أصبح خلاص الصين يعني أولاً التحرر من الهيمنة الأجنبية وإحياء الذات القومية.

- الواقعية السياسية: حيث ترى الصين أنّ دورها العالمي لا يمكن أن يسبق إكمال مشروعها الداخلي؛ لذا تقدّم مشاريعها الدوليّة (مثل: مبادرة الحزام والطريق)^[٢] بوصفها شراكاتٍ تنمويّة، لا رسالة خلاصيّة للبشريّة.

بناءً على ذلك، يفهم الخلاص في الفكر الصيني بوصفه مشروعاً داخليّاً وقومياً في المقام الأول. لكن هذا لا يعني أنّ الصين ترفض الدور العالمي، بل إنّها تؤجّل الرؤية الخلاصيّة العالميّة لصالح إكمال مشروعها القومي أولاً. أي إنّ مساهمة الصين في الخلاص البشري العام هي نتيجة ثانويّة لتحقيق خلاصها الوطني، وليس دافعاً أساسياً مباشراً.

[١] مصطلح (قرن الإذلال) في المفهوم الصيني: يشير إلى الفترة الممتدة من حرب الأفيون الأولى (١٨٣٩-١٨٤٢م) حتى تأسيس جمهورية الصين الشعبيّة (١٩٤٩م). خلال هذه الفترة، تعرّضت الصين لسلسلة من الهزائم العسكريّة والمعاهدات غير المتكافئة مع القوى الغربيّة واليابان، ما أدّى إلى فقدان السيادة وتفكك المجتمع وتدهور الاقتصاد. من أبرز الأحداث:

- حروب الأفيون (بريطانيا تجبر الصين على فتح أسواقها).
- احتلال بكين من قبل القوات الغربيّة (١٨٦٠-١٩٠٠م).
- الهزيمة في الحرب الصينية اليابانيّة الأولى (١٨٩٤-١٨٩٥م).
- الغزو الياباني للصين (١٩٣٧-١٩٤٥م).

يعدّ هذا القرن رمزاً للضعف الوطني والإهانة، ويتم ربطه بشكل مباشر بـ(حلم النهضة العظيمة للأمة الصينيّة) الذي تتبناه القيادة الصينيّة الحديثة. الخلاص يفهم هنا على أنّه استعادة الكرامة الوطنيّة والقوة والسيادة، هكذا أصبح (قرن الإذلال) دافعاً تاريخياً لتوحيد الهوية الوطنيّة، وازدفاء الشرعيّة على مسار التطوّر الحالي بوصفه خلاصاً من الماضي المأساوي.

[٢] مشروع (الحزام والطريق): هو مبادرة صينيّة تهدف إلى إنشاء شبكة من الطرق والسكك الحديدية والموانئ التي تربط الصين بدول آسيا وأوروبا وإفريقيا، بهدف تعزيز التعاون التجاري والاقتصادي. وتتمثّل علاقة هذا المشروع بـ(النهضة الصينيّة) أو (الخلاص الصيني) في تعزيز القوة الاقتصاديّة والمكانة الدوليّة للصين، ورفع نفوذها العالمي من خلال إعادة تأكيد دورها كمركز للتبادل التجاري والحضاري، وهو ما يُعدّ أساساً لاستعادة مكانتها التاريخيّة كـ(مملكة وسطى) مؤثرة في العالم.



التمييز الجوهرى عن المفاهيم الأخرى

يظلّ الخلاص الصيني مادياً وجماعياً وأفقيّاً، لا يستند إلى قوةٍ سماويّةٍ أو تدخلٍ غيبيّ، بل إلى رؤيةٍ بشريّةٍ وتخطيطٍ عقليّ. ومن هنا نفهم رفض الصين للخطابات الخلاصيّة القائمة على (المخلّص الفردي)، أو (نهاية التاريخ)، وتقدّم نفسها نموذجاً لخلاصٍ دنيويٍّ تدار تفاصيله باليد البشريّة وليس بالتدخل الإلهي.

وعليه، يتمحور الخلاص في الفكر الصيني حول بناء (المملكة الصينيّة الفاضلة) عبر التنمية الماديّة، وتعزيز الهوية القوميّة، وإرساء الاستقرار المجتمعيّ، مع تأجيل البعد الروحي والشمولي لصالح أولويّة الخلاص الذاتي والمشروع القومي.

وبقراءةٍ استراتيجيّةٍ موجزة، يمكن تلخيص أبرز ملامح الخلاص الصيني في النقاط الآتية:

- المركزيّة الثقافيّة الصينيّة التي تحدّ من مرونته في التكيف مع التعدديّة العالميّة.
- افتراض عالميّة النموذج الصيني، وهو في الواقع محلي، وقومي في الأساس.
- التضحية بالفرد ومصالحة وحرّيته لصالح الجماعة والاستقرار السياسي.
- التحوّل إلى أيديولوجيا صلبة بدلاً من الحفاظ على مرونته الفكرية.
- قوّة في التنمية الماديّة يقابلها ضعف في البعد الروحي والإنساني.
- صعوبة في تصدير أطروحاته أو تقديمه كنموذجٍ يحتذى به خارج الإطار الصيني.

وباختصار، فإنّ الخلاص الصيني هو خلاصٌ قوميٌّ مغلقٌ في أدواته وغاياته المباشرة، يجد صعوبةً في التكيف مع معطيات العالم الحديث القائم على التعدديّة

والحرية الفردية. ومع ذلك، قد يتحوّل في مرحلة لاحقة إلى خلاصٍ منفتح - ولو بصورة غير مباشرة - مع بلوغ الصين ذروة قوتها المادية وتجد مصلحتها في القيام بدور قياديّ عالمي. وهذه المفارقة تجعله نموذجاً فريداً يستحق الدراسة والمقارنة مع النماذج الخلاصية الأخرى.

الرؤية الصينية للخلاص: الجذور الفكرية والفلسفية

تمثّل الرؤية الصينية للخلاص نسيجاً معقّداً تتداخل فيه خيوط الفلسفة والدين^[١] والسياسة والتاريخ على مدى آلاف السنين. فهي ليست فكرةً أحادية البنية أو بسيطة، بل تشكّل نسقاً مركّباً من المفاهيم المتداخلة، التي تتراوح بين خلاص الفرد وخلاص الجماعة، وبين الإصلاح الأرضي الملموس والتحرّر المعنوي، وبين الرؤية المستقبلية والجهود الإنسانية التراكمية.

وعند الحديث عن منابع رؤية الخلاص الصينية، يبرز دور عددٍ من المدارس الفلسفية التي أسست للتصورات الصينية حول الخلاص، وأسهمت في تشكيل الرؤية الجماعية للأمة الصينية. وفي هذا المحور، نتناول أبرز هذه الجذور الفلسفية:

١- الخلاص في الفكر الكونفوشيوسي^[٢]: الأخلاق بوصفها طريقاً لاستعادة النظام المثالي (من القرن السادس قبل الميلاد - مستمر حتى الآن)^[٣].

[١] سانغ جي، الأديان في الصين، ص ٤-٩.

[٢] الكونفوشيوس (Confucius) هو: المعلم والفيلسوف كونفوشيوس، واسمه: كونغ فو تسو. اشتهر بلقب: كونغ فوزي (Kung Fu Tzu) التي تعني (المعلم كونغ) تاريخه: ولد عام ٥٥١ ق.م - وتوفي عام ٤٧٩ ق.م فترة الممالك المتحاربة، أفكاره: دعا إلى إصلاح المجتمع، والخلاص يكون ببناء مجتمع متناغم عبر الفضيلة الفردية، فترة تأثيره: من القرن ٦ ق.م واستمر حتى اليوم، مصدر المعلومات: سميث، هوستن، أديان العالم، ص ٢٣٩-٢٤٣.

[٣] دانيال جاردنر، الكونفوشيوسية، ص ١١٣.



يمثّل الخلاص الكونفوشيوسي^[١] مشروعاً أخلاقياً واجتماعياً يرتكز على إصلاح الذات وتنظيم العلاقات الإنسانيّة وفقاً لقيم الرحمة والطقوس. يتحقّق عبر بناء مجتمع متناغم تُصاغ فيه الأدوار والمسؤوليّات، حيث يكون خلاص الفرد مرتبطاً بخلاص الجماعة. الغاية النهائيّة هي إقامة نظام مثاليّ مستقرّ يحاكي العصور الذهبيّة في التاريخ الصيني.

الأسس الفلسفيّة للخلاص الكونفوشيوسي:

١. الفضيلة الفرديّة مصدر للشرعيّة الأخلاقيّة:

- يتحقّق الخلاص من خلال تربية الذات وتهذيب الأخلاق؛ إذ يعدّ الكمال الأخلاقي للفرد أساساً لخلاص المجتمع.

- الفضائل الأساسيّة مثل الرحمة، والطقوس تشكّل نظاماً أخلاقياً متكاملًا يُوجّه السلوك الفردي والجماعي.

٢. النظام الاجتماعي بوصفه آلية للخلاص الجماعي:

- تحقيق التناغم الاجتماعي عبر الالتزام بالأدوار والمسؤوليات في إطار «العلاقات الخمس» (الحاكم والمحكوم، الأب والابن، الزوج والزوجة، الأخ الأكبر والأصغر، الفرد والصدّيق).

- التركيز على (الحكم بالفضيلة)، حيث يكون القائد مثلاً أخلاقياً يُلهم المجتمع ويؤدّي إلى الاستقرار والازدهار.

نصوص استشهاديّة:

- النصّ الأول من (المعرفة الكبرى): «من أراد إصلاح دولته، فليُصلح أولاً

[١] دانيال جاردنر، الكونفوشيوسيّة، ص ٢٠-٢٤.

بيته؛ ومن أراد إصلاح بيته، فليُصلح أولاً نفسه»^[١]. يوضح هذا النص التسلسل الهرمي الذي يشكل صلب الرؤية الكونفوشيوسية^[٢]: خلاص الذات خلاص الأسرة خلاص الدولة.

- النص الثاني من (المحاورات): «على الحاكم أن يلزم نفسه والناس طريق العدالة والأخلاق، وأن يحترم العقائد بإجلال يتناسب مع وقارها، دون شطط إلحاديٍّ أو إيغالٍ متمرّت»^[٣]. يؤكد أنّ الخلاص الجماعي ينبثق من العدالة والأخلاق^[٤].

- النص الثالث من (المحاورات): «من يحكم بالفضيلة، يشبه النجم القطبي؛ يبقى في مكانه بينما تدور كل النجوم حوله»^[٥]. يصوّر هذا النص الخلاص كقوة جاذبية أخلاقية طبيعية تستغني عن القمع والقوة.

خلاصة الرؤية الكونفوشيوسية^[٦] للخلاص:

- الخلاص: يتمثل في استعادة النظام (الاجتماعي-السياسي) المثالي، المنسجم مع ما كان سائداً في العصور الذهبية المبكرة تحت حكم الأباطرة الحكماء مثل (ياو)، و (شون)^[٧].

[١] فرجاني محسن، الكتب الأربعة المقدسة: (المعرفة الكبرى)، ص ٣٦٧؛ فراس السوّاح، فصول من الفلسفة الصينية، ص ٣٢ و ص ٣٥.

[٢] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (الخصائص الأساسية للفلسفات الصينية)، ص ٣١٢.

[٣] فرجاني محسن، الكتب الأربعة المقدسة: (محاورات كونفوشيوس)، فصل ٦ / ٢٢، ص ٥٢.

[٤] فراس السوّاح، فصول من الفلسفة الصينية، ص ٣٤-٣٥.

[٥] فرجاني محسن، الكتب الأربعة المقدسة: (محاورات كونفوشيوس)، فصل ٢ / ١، ص ٢٥؛ فراس السوّاح، فصول من الفلسفة الصينية، ص ٢٠ و ص ٣٥.

[٦] دانيال جاردنر، الكونفوشيوسية، ص ٢٠-٣٩.

[٧] شخصيتان أسطورتان في التاريخ الصيني التقليدي - غير مؤكد وجودهما التاريخي بشكل قاطع - يعتقد أنهما حكما في الألف الثالث قبل الميلاد.



- الوسيلة: تتحقّق من خلال الالتزام الصارم بالطقوس التي تنظّم مختلف جوانب الحياة، وممارسة الفضائل الأخلاقية وأبرزها: (الرحمة والإحسان)، و(الوفاء بالواجب). وتقع المسؤولية الأساسية عن تحقيق هذا الخلاص بالدرجة الأولى على عاتق النخبة المثقفة والحكّام.

- الغاية: تحقيق مجتمع مستقرّ ومزدهر وآمن في هذا العالم، وهي رؤيةٌ مثاليّةٌ تركز كليّاً على الحياة الدنيويّة، ولا علاقة لها بفكرة الخلاص في عالم آخر.

قراءة تحليليّة استراتيجيّة

يمكن قراءة الرؤية الكونفوشيوسيّة للخلاص بوصفها إيديولوجيا خلاصيّة مادّيّة علمانيّة في جوهرها، تقاس عبر استقرار المجتمع وانتظام الأدوار والعلاقات الاجتماعيّة (مثل علاقة: الأب والابن، الحاكم والرعية). في هذا التصوّر، لا يوجد (مخلّصٌ موعودٌ خارجي)، بل (مخلّصون داخليّون) يتمثّلون في النخبة المثقفة والحكّماء (الحكم عن طريق الفضيلة)^[١]، الذين يهذبون أنفسهم أولاً ليكونوا قدوةً، ثم يهذبون الآخرين ويقودون المجتمع نحو التناغم.

غير أنّ هذه الرؤية مثاليّة مفرطة؛ إذ تعتمد على افتراض فضيلة الحكّام والنخب، ما يجعلها عرضةً للانهايار مع فسادهم، كما يلاحظ في التصوّر الكونفوشيوسي تهميشٌ واضحٌ للبعد الروحي والخلاص الأخروي، وهو ما لا يلبي الحاجات الفطريّة والمعنويّة العميقة للإنسان.

مقارنة استراتيجيّة موجزة مع المهدويّة

بينما تقدّم الكونفوشيوسيّة خلاصاً (مادياً-دنيوياً) يهدف إلى الاستقرار والتناغم الاجتماعي، تقدم المهدويّة خلاصاً شاملاً (دنيوياً وروحياً وأخروياً)، يحقّق عدلاً مطلقاً، ورفاهيّة مادّيّة، يشمل البشريّة كافة، ويرتبط بخلاص أخروي لا ينفصل عن الوجود الدنيوي.

[١] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (الحكم عن طريق الفضيلة)، ص ٣٤٢.

٢- الخلاص في الفكر الطاوي^[١]: العودة إلى الطبيعة والتحرر من التكلف والتصنع^[٢] (من القرن الرابع قبل الميلاد - مستمر حتى الآن).

يقدم الفكر الطاوي مشروعاً خلاصياً مغايراً جذرياً للكونفوشيوسية، حيث يتجلى الخلاص في التحرر من القيود الاصطناعية والعودة إلى البساطة الأصلية والانسياب التلقائي مع قوانين الطبيعة. يعتمد على مبدأ (اللاعمل) والانسجام مع (الطاو)^[٣]. ويهدف إلى تحقيق السلام الداخلي والتحرر الوجودي من خلال التحرر من تعقيدات الحضارة وتكاليفها الاصطناعية.

الأسس الفلسفية للخلاص الطاوي:

١. الطاو^[٤] بوصفه مصدراً للوجود والتحرر:
 - يتحقق الخلاص بالعودة إلى (الطاو) كمبدأ كوني أزلي، بمعنى الانصياع التلقائي لقوانين الطبيعة.
 - التحرر من القيود الاصطناعية التي تفرضها الحضارة البشرية، والعودة إلى حالة البساطة الأولى.
٢. اللاعمل بوصفه منهجاً للخلاص:
 - اعتماد مبدأ (اللاعمل) بمعنى التحرك التلقائي المتوافق مع طبيعة الأشياء دون تدخل إرادي متكلف.
 - محاكاة مرونة الماء وليونته في التعامل مع التحديات؛ إذ (اللين يغلب الصلب).

[١] الطاوي (Lao Tzu) هو: الحكيم لاو تسو، مؤسس الطاوية، واسمه: لي إر (Li Er). اشتهر بلقب: لاو زي (Laozi) التي تعني (المعلم العجوز)، أو (الحكيم القديم)، تاريخه: يعتقد أنه عاش في القرن ٦ ق.م. معاصراً للكونفوشيوس، أفكاره: دعا إلى العودة إلى الطبيعة عبر اللافعل، والخلاص هو التحرر من التعقيد البشري، فترة تأثيره: من القرن ٦ ق.م. ومازالت أفكاره حية، يعد شخصية شبه أسطورية، مصدر المعلومات: سميث، هوستن، أديان العالم، ص ٣٠٠-٣٠٢.

[٢] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (التاوية: الطريق الطبيعي إلى الحرية)، ص ٣٥٨.

[٣] سانغ جي، الأديان في الصين، ص ٨٣.

[٤] بقصد بالطاو: المبدأ الكوني الأساسي الذي يحكم النظام الطبيعي للكون، أي السنن الكونية.



نصوص استشهاديّة:

- النصّ الأول من (داو دي جينغ): «الطاو ليس من شيمته الفعل، ولكنه لا يترك شيئاً بحاجة إلى إتمام»^[١]. يوضّح هذا النصّ أنّ الخلاص يكمن في التخليّ عن الفعل المتعسّف لصالح التدفّق التلقائي مع الكون.

- النصّ الثاني من (زوانغزي): «بدون تعاليم وخارجاً عن التقاليد، يدفع إلى رؤيا الطبيعة الداخليّة ومنها إلى تحقيق حالة -الاستنارة- الطاو»^[٢]. يصرّو هذا المقطع حالة التحرّر المطلق التي يحققها من يتوحّد مع (الطاو).

- النصّ الثالث من (داو دي جينغ): «تخلّ عن الحكمة والمعرفة، يعود الناس إلى المنفعة مائة ضعف»^[٣]. يدعو هذا النصّ إلى التحرّر من المعرفة الاصطناعيّة التي تشوّه البساطة الطبيعيّة.

خلاصة الرؤية الطاويّة للخلاص:

- الخلاص: هو عودة الفرد والمجتمع إلى الحالة البدائيّة البريئة التي سادت قبل ظهور التقسيمات والفروق الاصطناعيّة.

- الوسيلة: التخلّص من المعرفة والرغبات الزائدة، واعتماد السلوك التلقائي غير المخطّط، ومحاكاة مرونة الماء وليونته.

- الغاية: تحقيق التحرّر الكامل من القيود الذهنيّة والاجتماعيّة، والعيش في تناغم تام مع قوانين الطبيعة، ما يضمن طول العمر والسلام الداخلي.

[١] لاو تسي، «التاو تي تشينغ» (Tao Te Ching) - الفصل ٣٧، ص ١١١ و ٢٩٣؛ لاو تسي، كتب الطريق والفضيلة، فصل ٣٧، ص ٥٥.

[٢] لاو تسي، «التاو تي تشينغ» (Tao Te Ching) - الفصل ٤١، ص ٣٠٢؛ لاو تسي، كتب الطريق والفضيلة، فصل ٤٨، ص ٦٦-٦٧.

[٣] لاو تسي، «التاو تي تشينغ» (Tao Te Ching) - الفصل ١٩، ص ٧٥؛ لاو تسي، كتب الطريق والفضيلة، فصل ١٩، ص ٣٦.

قراءة تحليلية استراتيجية

تمثل الطاوية نموذجًا خلاصيًا فرديًا وجوديًا في المقام الأول، يعتمد على تفكيك الأنظمة الفكرية والاجتماعية بدلًا من بنائها. بينما تسعى الكونفوشيوسية لخلاص المجتمع عبر الضبط الأخلاقي، تسعى الطاوية لخلاص الفرد عبر التحرر من كل ضبط. هذا يجعلها أقرب إلى فلسفات التحرر الروحي العالمية، لكن بصبغة صينية متميزة تركز على الانسجام مع الطبيعة والهروب من التعقيدات الاجتماعية والسياسية.

غير أنّ هذه الرؤية الفردية المفرطة تؤدي إلى إهمال البعد الاجتماعي والسياسي لتحقيق الخلاص الجماعي، كما أنّ غياب الجانب العملي يطرح تحديات في تطبيق مبدأ (اللاعمل) في تنظيم المجتمعات المعقدة. إضافة إلى ذلك، يؤدّي الغموض المفاهيمي حول (الطاو) إلى تأويلات متضاربة.

وهكذا تبرز الطاوية كقطب روحيّ مقابل القطب الاجتماعي للكونفوشيوسية، بينما تقف المهدوية نموذجًا ثالثًا يجمع بين البعد السماوي والجذري للمنظومة الأرضية.

مقارنة استراتيجية موجزة مع المهدوية

تمثل الطاوية نموذجًا خلاصيًا داخليًا محدودًا؛ إذ الخلاص عملية فردية متدرّجة يتم تحقيقها بالانصياع لقوانين الطبيعة والتحرر من المعرفة الاصطناعية. بينما تقدّم المهدوية نموذجًا خلاصيًا خارجيًا شاملاً، يعتمد على ظهور منقذٍ إلهي يحقق العدالة الشاملة بنحو جذري.

يكمن الفارق الجوهرى في أنّ الطاوية تبحث عن الخلاص بالعودة إلى الحياة الطبيعية البسيطة، أمّا المهدوية فتتطلّع إلى مستقبل مثالي يتحقق بنشر العدل والعلم ليشمل البشرية كافة، مع ظهور المخلص الموعود (الإمام المهدي المنتظر).



٣- الخلاص في الفكر الموهيستي^[١]: إرادة السماء والمنفعة العامة (من القرن الخامس قبل الميلاد - القرن الثالث قبل الميلاد).

يقدم الفكر الموهيستي (الموهية) مشروعاً خلاصياً يجمع بين البعد الغيبي (إرادة السماء)، والبعد العملي (المنفعة العامة)، بديلاً^[٢] للنموذجين الكونفوشيوسي والطاوي. يفهم الخلاص هنا على أنه تحقيق المنفعة المتبادلة للجميع من خلال القضاء على المعاناة الاجتماعية ورفض التمييز والصراع.

الأسس الفلسفية للخلاص الموهيستي:

١. إرادة السماء بوصفها مصدر الشرعية:
- يتحقّق الخلاص بالتوافق مع إرادة السماء التي تجسّد العدالة والمنفعة العامة وإزالة الأذى عن البشر.
- السماء تكافئ المحسنين وتعاقب المسيئين، ما يشكّل نظاماً أخلاقياً كونياً.
٢. المنفعة العامة بوصفها أداة للخلاص الجماعي:
- تُقيّم الأفعال بناءً على تحقيقها أكبر منفعةٍ لأكبر عددٍ (مبدأً نفعي مبرّر).
- تهدف إلى إلغاء الصراعات الاجتماعية (كالحروب والفقر والظلم) عبر محاربة الأنانية والتحيز.

[١] الموهيستي (Mohism) هو: الفيلسوف موزي، مؤسس الموهية، واسمه: مو دي (Mo Di)، اشتهر بلقب: موزي (Mozi) التي تعني (المعلم مو)، تاريخه: عاش بين عامي ٤٧٠ ق.م - ٣٩١ ق.م، أفكاره: نادى بالحب الشامل ومناهضة الحرب، والخلاص يتحقّق بالمساواة واتباع إرادة السماء، فترة تأثيره: ازدهرت في القرن الخامس ق.م. وانحسرت بعد القرن الثالث ق.م، مصدر المعلومات: كتاب (موزي)، ص ٢٠-٢٩، The book of Master Mo (MO ZI), Ian Johnston

[٢] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (الموهية)، ص ٣٢٢.

نصوص استهادية:

- النص الأول: «إرادة السماء تحبّ العدل وتبغض الظلم .. من يتبعها يزدهر، ومن يحيد عنها يهلك»^[١]. يؤكد هذا النص على العلاقة الجوهرية بين الخلاص وإرادة السماء الكونية.

- النص الثاني: «أحبّوا بعضكم بعضاً بشكلٍ شامل، وستبادلون المنفعة»^[٢]. يربط هذا المقطع بين الحبّ غير المشروط والمنفعة العملية كطريق للخلاص.

- النص الثالث: «من يتبع إرادة السماء (ويحبّ الجميع ويتبادل المنفعة) يُكافأ»^[٣]. يربط الخلاص باتباع قانونٍ إلهيٍّ أخلاقي.

خلاصة الرؤية الموهيستيّة للخلاص:

- الخلاص: تحقيق مجتمعٍ عادلٍ خالٍ من الحروب والفقر، عبر منفعَةٍ ماديّةٍ مشتركةٍ وحبٍّ شاملٍ تحت مظلةٍ إرادةٍ السماء.

- الوسيلة: تطبيق المنفعة المتبادلة، ورفض التمييز (الطبقي والعائلي والقومي)، واعتماد العقلانية والمنفعة مقياساً للقرارات.

- الغاية: بناء نظامٍ اجتماعيٍّ عمليٍّ يحقق الأمن والرفاهية الماديّة للجميع.

قراءة تحليلية استراتيجية

تمثّل الموهيستيّة نموذجاً خلاصياً جماعياً عقلاً نياً يجمع بين الغيبة

[١] كتاب (موزي)، فصل (الإرادة السماوية) ص ٣٩، The book of Master Mo (MO ZI), Ian Johnston

[٢] كتاب (موزي)، فصل (الحبّ الشامل) ص ٣٧، The book of Master Ian Johnston, (Mo (MO ZI

[٣] كتاب (موزي)، فصل (المعايير والقواعد) ص ٧٢-٧٣، The book of Master Mo (MO ZI), Ian Johnston



(السما) والمادية (المنفعة). وتقدم نقدًا مباشرًا للكونفوشيوسية (برفضها: الطبقة والطقوسية)، والطاوية (برفضها: الانسحاب الاجتماعي).

ومن أبرز الملاحظ النقدية عليها اعتمادها على مركزية الدولة الصارمة (كنظام المراقبة والعقوبات)، وإهمالها للبعد الروحي الفردي.

- المصير التاريخي:

انحسرت الموهية بعد القرن الثالث قبل الميلاد لعدة أسباب، أبرزها:

- ١- هيمنة الكونفوشيوسية بوصفها إيديولوجية الدولة في عصر أسرة هان^[١].
- ٢- صعود المدرسة القانونية^[٢] التي قدّمت بديلاً أكثر واقعية للسيطرة على المجتمع^[٣].

٣- صعوبة تطبيق مبدأ الحب الشامل (محبة الغريب كالقريب) الذي عدّ غير واقعي.

فقدت الموهية جاذبيتها أمام النماذج الشاملة، ورغم ذلك بقي إرثها مؤثراً في الثقافة الصينية العامة إلى اليوم.

- الإسقاط المعاصر:

يمكن عدّ الموهية نموذجاً مبكراً للنفعية الاجتماعية؛ لأنها تقدّم رؤية خلاصية قائمة على المادية والمنفعة الجماعية، ما يقربها من النماذج السياسية الاشتراكية الحديثة.

[١] حكمت أسرة هان الصين في الفترة من عام ٢٠٢ قبل الميلاد إلى ٢٢١ بعد الميلاد، ما يجعلها إحدى أطول السلالات الإمبراطورية الحاكمة في تاريخ الصين.

[٢] صعود المدرسة القانونية (Legalism) التي قدّمت بديلاً أكثر قوة وواقعية للسيطرة على المجتمع، فجذبت النخب الحاكمة.

[٣] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (المدرسة القانونية)، ص ٣٢٥.

مقارنة استراتيجية موجزة مع المهدوية

تشترك الموهيستيّة مع المهدويّة في السعي لتحقيق العدالة الاجتماعيّة، لكنّها ركّزت بشكلٍ مفرطٍ على المنفعة الماديّة، وتجاهلت البعد الروحي والثقافي. كما رفضت فكرة (المخلّص الموعود) الغيبي لصالح الجهد البشري القائم على الإرادة والعقل، في حين تقدّم المهدويّة خلاصاً شاملاً لجميع جوانب الحياة تحت مظلة الإرادة الإلهيّة.

٤- الخلاص في الفكر البوذي الصيني^[١]: البعد الغيبي والاستنارة الذاتية (من القرن الأول الميلادي - مستمر).

دخلت البوذية إلى الصين عبر طرق التجارة البريّة والبحريّة في القرن الأول الميلادي^[٢]، وذلك في عهد أسرة هان الشرقيّة. انتشرت بفضل جهود الرهبان والمترجمين الذين نقلوا النصوص السنسكريتيّة من الهند إلى الصين، مدفوعين بالبحث عن إجاباتٍ للأسئلة الوجوديّة التي لم تقدّمها الفلسفات الصينيّة المحليّة بشكلٍ وافٍ، وبقدرتها على تقديم مواساةٍ روحيّةٍ للشعب في مراحل الاضطرابات.

[١] البوذية الصينيّة (Chinese Buddhism): تستند إلى تعاليم بوذا التاريخي (سيدهارثا غوتاما) مع تأثيرات من الفلسفات الصينيّة المحليّة مثل (الطاويّة والكونفوشيوسيّة). وتعتمد مرجعيّتها على النصوص الأساسيّة (السوترات)، والممارسات التجريبيّة (التأمّل الشخصي)، مُعَدّ البوذية الصينيّة: الراهب بوديهيدهارما (Bodhidharma، الاسم الصيني: دامو) - راهب هندي من القرن السادس الميلادي، يُعتقد أنّه أمير من جنوب الهند، طريقة الدخول: دخلت الصين في القرن الأول الميلادي عبر تجار طريق الحرير ورهبان مثل كاشيابا ماتانجا، الهدف والكيفيّة: لتعالج معاناة البشر عبر التناسخ والكارما، واندمجت مع الفلسفات الصينيّة المحليّة، مدارس البوذية الصينيّة: بوذية تيانتي، وبوذية هوايان، وبوذية الأرض الطاهرة، بوذية التشان والزن، أبرز ممثل: بوديهارما في القرن السادس الميلادي، مؤسس مدرسة تشان، والزن اليابانيّة لاحقاً، الفكرة المركزيّة: الخلاص يتم عبر كسر دورة الولادة والموت بالاستنارة (تحقيق النيرفانا)، فترة تأثيرها: من القرن الأول الميلادي، ومستمرّة حتى اليوم، بمدارس بارزة مثل (الأرض الطاهرة)، و (تشان)، مصدر المعلومات: بومعراف، الآخر في الفكر الديني الصيني، ص ١٤٣-١٥٧؛ داميان كيون، البوذية، ص ٩١-٩٤.

[٢] سانغ جي، الأديان في الصين، ص ٥٨.



الأسس الفلسفيّة للخلاص البوذي الصيني:

١. الخلاص بوصفه تحرّراً من المعاناة:
- يتمثل الهدف المركزي في التحرّر من المعاناة التي تحكمها قوانين الكارما (العمل وأثره).
- الخلاص ليس مجرد تحقيق سعادة دنيويّة، بل يتطلّب تجاوز الآلام الناتجة عن الجهل والرغبة والتعلّق.

٢. الاستنارة الذاتية والمساعدة الغيبيّة:

- تؤكد مدرسة (تشان) على أهمية الجهد الفردي^[١] في السعي نحو الاستنارة، أي تحقيق اليقظة الروحيّة عبر إدراك طبيعة الواقع الحقيقيّة، بالاعتماد على الوسائل الماهرة مثل التأمل والحكمة والرحمة.
- في المقابل، تقدّم مدرسة (الأرض الطاهرة) نموذجاً خلاصياً يعتمد على الاستعانة بقوة (بوذا أميتابها)، الذي يمكن أن ينقل المرء إلى أرض نقيّة (بمعنى: المدينة الفاضلة) حيث يسهل تحقيق الخلاص.

نصوص استشهاديّة

- النصّ الأول: «إذا أردت فهم جميع البوذات^[٢] في الماضي والحاضر والمستقبل، يجب أن تدرك أنّ الكون كلّ من صنع العقل»^[٣]. يسلّط هذا النصّ الضوء على دور العقل في الخلاص.

[١] فالج مهيدي، البحث عن منقذ، ص ٦٤.

[٢] جميع البوذات: هذا المصطلح هو جمع كلمة (بوذا)، ويقصد به الكائنات المستنيرة التي حقّقت الاستنارة الكاملة (اليقظة)، يشمل ذلك الشخصيات التاريخيّة (مثل غوتاما بوذا)، أو الكونيّة (مثل أميتابها بوذا). ويشير هذا المفهوم إلى أنّ الاستنارة ليست حكراً على فرد واحد، بل هي إمكانيّة متاحة لأيّ شخص.

[٣] كتاب (سوترا أفاتاماسكا)، الفصل (الزينة الزهرية)، ص ٣٨. The Flower Ornament (Scripture) (Avatamsaka Sutra)

- النصّ الثاني: «من ينطق اسمي (أميتابها) بإيمان، سيولد في أرضي الطاهرة»^[١]. يعكس هذا النصّ النموذج الغيبي للخلاص في مدرسة الأرض الطاهرة عبر الإيمان.

- النصّ الثالث: «جميع الظواهر المشروطة تشبه الأحلام، والأوهام، والفقاعات، والظلال»^[٢]. يؤكّد هذا النصّ على طبيعة الواقع الوهميّة، ويربط الخلاص بالتحرّر من التعلّق بالفراغ.

خلاصة الرؤية البوذية الصينيّة للخلاص:

- الخلاص: التحرّر الكامل من المعاناة ودورة الولادة المتكرّرة^[٣] (السامسارا)، وتحقيق النيرفانا^[٤] أو حالة (البوذا)^[٥]، عبر المزج بين الجهد الفردي والقدرة الغيبيّة.

- الوسيلة: الممارسة الثلاثيّة للأخلاق والتأمّل والحكمة، أو الإيمان بنذر (البوذا) في مدرسة (الأرض الطاهرة).

- الغاية: تحقيق اليقظة الكاملة لصالح جميع الكائنات، والوصول إلى حالة الاستنارة الكاملة.

[١] كتاب (سوترا الأرض الطاهرة)، الفصل (وصف أرض النعيم)، ص ٣٣. The Avatamsaka Sutra

[٢] كتاب (سوترا الماس)، ضمن (القسم الختامي)، ص ١٠٩-١١٠. The Diamond Sutra, Prajna Paramita

[٣] الولادة المتكرّرة (Rebirth): هي آليّة لانتقال الوعي من حياة إلى أخرى وفقاً لقانون الكارما. وهي تختلف عن مفهوم التناسخ التقليدي، الذي يفترض وجود ذاتٍ دائمةٍ تنتقل من جسدٍ لآخر.

[٤] النيرفانا (Nirvana): تمثّل التحرّر النهائي من دورة السامسارا والمعاناة. هي حالةٌ من انطفاء الشهوات والجهل، والوصول إلى السلام المطلق.

[٥] فالح مهدي، البحث عن منقذ، ص ٦٢.



قراءة تحليليّة استراتيجيّة

تمثّل البوذية الصينيّة تحوّلًا مهمًّا في تاريخ الفكر الصيني؛ إذ قدّمت نموذجًا خلاصيًا شموليًا يجمع بين الفردي والغبي، والعقلاني والمتجاوز؛ ولهذا اختلفت مناهج الخلاص البوذية في الصين: فمدرسة مثل (تشان) ركّزت على الخلاص عبر الكشف المفاجئ عن الطبيعة، بينما قدّمت مدرسة (الأرض الطاهرة) خلاصًا سهلًا عبر الإيمان.

تكمّن قوة الرؤية البوذية للخلاص في قدرتها على استيعاب العناصر الصينيّة مثل الطاويّة والكونفوشيوسيّة، ولكن تعقيد مفاهيمها^[١] (مثل الفراغ^[٢]، والكارما^[٣]، والسامسارا^[٤]، وأميتابها^[٥]) قد يصعب تبنيها على نطاق واسع. من جهة أخرى، كان لها تأثيرٌ تاريخيٌّ قويٌّ في المشهد الثقافي، حيث أصبحت أحد الأعمدة الثلاثة للفكر الصيني (إلى جانب الطاويّة والكونفوشيوسيّة)، وأثرت بعمق في الفن والأخلاق والممارسات اليوميّة.

البوذية الصينيّة ومسألة انتظار المخلّص المستقبلي

لا تتبنى البوذية التقليديّة مفهوم (المخلّص الفردي)، بالصورة المتعارف عليها في الأديان الإبراهيميّة (كالمهدي أو المسيح)، غير أنّ بعض مدارس البوذية

[١] شرح المفاهيم، من كتاب: البوذية، داميان كيون، الفصل الرابع، ص ٥٩-٦٩.

[٢] الفراغ (Sūnyatā): هو مفهومٌ بوذيٌّ أساسيٌّ يعني عدم وجود جوهر ثابت أو ذات مستقلة لأيّ ظاهرة، لا يعدّ هذا المفهوم عدمًا، بل هو تحرّر من التصوّرات المطلقة التي تسبّب التعلّق والمعاناة.

[٣] الكارما (Karma): هو قانون السببية الأخلاقي الذي يحدّد عواقب الأفعال ونواياها في الحاضر والمستقبل، ما يؤثّر على مسار الخلاص الفردي.

[٤] السامسارا (Saṃsāra): هي دورة الولادة المتكرّرة التي يمرّ بها الكائن بسبب الكارما والجهل، تمثّل هذه الدورة عالم المعاناة الذي يسعى البوذي للتحرّر منه.

[٥] أميتابها (Amitābha): هو بوذا كوني في مدرسة (الأرض الطاهرة)، ويعتقد أنّ الإيمان والإخلاص في ذكره ينقل المؤمن إلى أرضه النقيّة حيث يسهل تحقيق الاستنارة.

في الصين والتبت (مثل مدرسة الأرض الطاهرة) تقدم شخصية (مايتريا)^[١] بوصفه (البوديساتفا)^[٢] الذي سيظهر في المستقبل عندما تضعف تعاليم (بوذا) الحالية، ليقود الناس نحو الاستنارة من جديد. يُعدّ (مايتريا) بوذا المستقبل الذي سيعيد إحياء التعاليم البوذية في عصر جديد يتّسم بالسلام والتنوير، «فقد جرت مراهة (بوادي بمايتريا بوذا) وهو مخلصٌ يعتقد أنّه سيأتي في المستقبل البعيد عندما يتدهور الجنس البشري. وإن البوذا تنبأ بأنّه بعد خمسة آلاف سنة، سوف ينسى رسالته. وبعد أن ينغمسوا في الأنانية والحسد والكراهية، ستتدهور صحتهم وينخفض متوسط أعمارهم، وسوف يخوضون فتراتٍ طويلةٍ من المجاعات والأمراض والحروب. يقول الكاتب البوذي (كاكاتي سوتا) في مجموعة المحادثات (ديغا نيقايا) السادسة والعشرين: في ذلك الزمن، سوف يظهر في العالم يا إخواني (شخص مبعجل) يدعى مايتريا، مكتمل اليقظة، ومملوء حكمة وألوهية، وسعيد، وملم بمعرفة العوالم، وقائد لا مثيل له للبشر المستعدين للانقياد، ومعلم للبشر، مبعجل، بوذا تمامًا ... ويصف بوذا (هذا المخلص) بأنّه شخصيّة ضخمةٌ وسيمّةٌ مهيبة: سيكون له صوتٌ سماويٌّ يُسمع في أقاصي الأرض، ستكون لبشرته صبغةٌ ذهبية، وسيشع من جسده رونق و.....»^[٣].

ومع ذلك، يختلف دور (مايتريا) جوهرياً عن مفهوم (المخلص) في الأديان الإبراهيمية؛ فهو لا يُعدّ منقذاً غيبياً مطلقاً، بل يمثل استمراراً لمسيرة (البوديساتفا) الذي يؤجّل تحقيقه للنيرفانا لإنقاذ الآخرين. لا يعتمد الخلاص في هذا النموذج

[١] شخصية مايتريا (Maitreya): هو البوذا المستقبلي الذي سيظهر عندما تضعف تعاليم بوذا الحالية، ليقود الناس إلى عصرٍ جديدٍ من الاستنارة والسلام، ويوصلهم إلى الأرض الطاهرة، أو أرض الجنة.

[٢] البوديساتفا (Bodhisattva): هو شخصٌ وصل إلى درجة عالية من الاستنارة الروحية، ولكنه يؤجّل دخوله إلى النيرفانا (التحرّر النهائي)؛ ليبقى في العالمٍ ويساعد الآخرين على تحقيق التحرّر من المعاناة.

[٣] جون مورال وتمارا صن، أشهر ٥٠ خرافة عن الأديان، ص ٢٣٤ و ٢٣٥. وفي النص إشارة إلى أقوى علامات الظهور وهي الصيحة السماوية.



على فداءٍ إلهيٍّ أو تدخلٍ سماوي، بل على توجيهٍ روحيٍّ وتعليميٍّ جديد. كما أنّ ظهور (مايتريا) مرهونٌ بتردّي القيم الروحيّة في العالم، وليس بحتميات كونيةٍ أو علامات غيبيةٍ محدّدة. وهكذا، يظلّ هذا المفهوم ضمن الإطار البوذي القائم على الجهد الفردي والاستنارة الذاتية، وإنّ أضاف بُعداً غيبياً مستقبلياً.

مقارنةً استراتيجيةً موجزةً مع المهدوية

تتباين الرؤية البوذية الصينية للخلاص بشكلٍ جوهريٍّ عن المهدويّة الإسلاميّة في عدّة أُسس. فبينما تتشاركان في البعد الغيبي، نجد أنّ المهدويّة تركز على خلاصٍ جماعيٍّ يشمل البشريّة بأكملها، عبر ظهور منقذٍ ربانيٍّ في آخر الزمان يقيم العدل ويزيل الظلم. في المقابل، تقدّم البوذية خلاصاً فردياً يعتمد بالأساس على الجهد الذاتي، والتأمل، والاستنارة الداخلية، أو من خلال التوجّه بقوة الإيمان نحو (بوذا)، مثل (أميتابها) في مدرسة (الأرض الطاهرة).

كما أنّ الغاية من الخلاص تختلف بين النموذجين: فالبوذية تهدف إلى تحرير الفرد من دائرة المعاناة والولادة المتكرّرة (السامسارا) والوصول إلى النيرفانا، وهو تحرّرٌ روحيٌّ وجوديٌّ يتركز على التحوّل الداخلي والتجرّد من العالم المادي. في المقابل، تسعى المهدويّة إلى إصلاح العالم المادي نفسه، عبر إقامة نظام عدلٍ شاملٍ يقضي على الفساد وينشر القسط والعلم والتوحيد؛ لذا يمكن القول إنّ المهدويّة تقدّم مشروعاً خلاصياً شاملاً يجمع بين البعدين المادي والمعنوي، في حين تركز البوذية على الخلاص الروحي الفردي بشكلٍ أساسي.

المقارنة الجوهرية: رؤى الخلاص بين نماذج الفكر الصيني والمهدويّة الإسلاميّة

تشكّل المدارس الفكرية الأربع - الكونفوشيوسية، والطاوية، والموهية، والبوذية - منهجاً رئيساً في العقليّة الصينية، وتعدّ روافد متعدّدة لرؤية الخلاص داخل الفضاء الفكري الصيني، حيث تجمع بين الجوانب الأخلاقية والروحية

والعملية. لم تكن هذه المدارس نظريات فلسفية مجردة، بل تحولت إلى قوى محرّكة في التاريخ الصيني، وشكّلت رؤية الأمة للخلاص بوصفه مشروعاً جماعياً يتكامل فيه الفردي مع الاجتماعي، والمادي مع المعنوي، والإنساني مع الكوني. واستناداً إلى ما سبق، يمكن إيجاز رؤية كلّ مدرسة للخلاص على النحو التالي:

- الكونفوشيوسية: الخلاص عملية أخلاقية جماعية تهدف إلى بناء مجتمع متناغم، من خلال الإصلاح الذاتي والالتزام بالطقوس والعلاقات الاجتماعية.
- الطاوية: الخلاص تحرّر وجودي فردي يعتمد على العودة إلى الطبيعة والانسجام مع (الطاو)، عبر التحرّر من القيود الاصطناعية، وتبني مبدأ اللاعمل.
- الموهية: الخلاص مشروع عملي نفعي يدمج بين إرادة السماء والمنفعة المتبادلة، سعياً لتحقيق عدالة اجتماعية تقوم على الحبّ الشامل واتباع قانون أخلاقي إلهي.
- البوذية: الخلاص تحرّر روحي من دائرة المعاناة، يتحقّق عبر الاستنارة الذاتية أو التوجّه إلى القوى الغيبية، بهدف بلوغ (النيرفانا)، أو الولادة في (الأرض الطاهرة)، مع الإيمان بـ(مايتريا) بوصفه بوذا المستقبل الموعود.

مقارنة موجزة بين المدارس الفلسفية والمهدوية الإسلامية

المدرسة	طبيعة الخلاص	الوسيلة	الغاية	الاختلاف الجوهرى مع المهدوية
الكونفوشيوسية	دنيوي، جماعي، أخلاقي	الأخلاق، الطقوس، النظام الاجتماعي	مجتمع متناغم مستقر	تفتقر للبعد الغيبي والمنقذ الإلهي، وتعتمد على الجهد البشري فقط



المدرسة	طبيعة الخلاص	الوسيلة	الغاية	الاختلاف الجوهرى مع المهدويّة
الطاويّة	وجودي، فردى، طبيعى	العفويّة، اللاعمل، الانسجام مع الطاو	التحرّر من التصنّع والتكلف والقيود	تركّز على الفردية، والانسحاب من التغيير الاجتماعى الشامل
الموهسيّة	عملي، نفعى، جماعى	المنفعة المتبادلة، الحبّ الشامل، اتباع قانون إلهى	مجتمع خال من الحروب والفقر	تغلّب الماديّة على الروحانية، وتفتقر لرؤية شاملة للخلاص
البوذية الصينيّة	روحى، فردى/ جماعى	التأمل، الإيمان، الاستنارة	التحرّر من المعاناة، والانتقال للأرض الطاهرة	تركّز على الخلاص الروحى على حساب الإصلاح المادى والاجتماعى، وتؤمن بـ "مايتريا"
المهدويّة الإسلاميّة	شمولى، دنيوى/ أخروى، إلهى	التمهيد للظهور، القائد (المهدى المنتظر)	عدالة شاملة للبريّة جمعاء	تجمع بين البعد الغيبى والإصلاح المادى والروحى تحت مظلة القيادة الإلهيّة

رؤيةً استراتيجيّة

تعدّ فكرة (المخلّص) في الصين ردّ فعلٍ مادياً على أزمات النظام، وغالباً ما تظهر في صورة أيديولوجيّة بديلة عند انهيار الشرعية. بينما تمثّل فكرة (المهدى) في الإسلام جزءاً أصيلاً من العقيدة، وتقدّم بوصفها تدييراً إلهياً شاملاً للبشريّة، لم يتحقّق بعد.

وبهذا، تمثّل نماذج الخلاص الصينيّة تيارات متداخلة تشكّل معاً رؤية مركّبة ذات تصوّرات متعدّدة، إلّا أنّها تظلّ - رغم تنوعها - تفتقر إلى البعد الجوهرى الذى تقدّمه المهدويّة الإسلاميّة، التى تجمع بين الخلاص الفردى والجماعى، والدنيوى والأخروى، والمادى والروحى، فى إطار توحيدى وتحت مظلة الإرادة الإلهيّة والقيادة الربانيّة. يكمن الفارق الجوهرى فى المرجعيّة النهائيّة: فبينما

تستند النماذج الصينية إلى مرجعياتٍ بشريةٍ (الدولة، المجتمع، الفيلسوف)، تستند المهدوية إلى مرجعيةٍ إلهيةٍ مطلقة.

وخلاصة استراتيجية، يمكن قراءة هذه النماذج على أنها مساران مختلفان: الأول، النموذج الصيني يركز على (بناء الجنة على الأرض) عبر الوسائل البشرية، أما الخلاص الإسلامي يربط بين (جنة الأرض وجنة السماء) عبر الوسيط الإلهي. يكمن ضعف النموذج الصيني في افتقاره للبعد الإلهي الذي يمنح الشرعية المطلقة، بينما تذكرنا المهدوية بأن الخلاص الحقيقي يجب أن يجمع بين العدالة الأرضية والرحمة السماوية.

تظهر هذه المقارنة أنّ الرؤية المهدوية تتميز بالشمولية والقيادة المعصومة، وهي أكثر تكاملاً وقدرةً على الاستجابة للحاجات الإنسانية العميقة على جميع المستويات.

التجليات الشعبية لفكرة الخلاص في الوعي الجمعي الصيني

يمثل مفهوم (الخلاص) في الوعي الشعبي الصيني تحولاً من النموذج الفلسفي المطلق إلى النموذج المادي الدنيوي، حيث يتركز الخلاص على (تحقيق العدالة الاجتماعية)، و(التحرر من الظلم المادي). وتتجلى هذه الرؤية عبر تاريخ الصين الطويل في حركاتٍ شعبيةٍ وأيديولوجياتٍ ثوريةٍ سعت لتفسير (الخلاص) ليس كفردوسٍ مستقبليٍّ أو أخروي، بل كواقعٍ معاشٍ يُحقق من خلال الثورة والإصلاح.

الأسس الفكرية للخلاص الشعبي الصيني

١. العدالة بوصفها خلاصاً مادياً: يرتبط الخلاص بإنهاء المعاناة الملموسة (مثل الجوع، القمع، والاستغلال)، وليس بالخلاص الروحي المجرد.



٢. الثورة بوصفها آلية خلاص: التغيير لا يتم عبر الإصلاح التدريجي، بل عبر قلب النظام القائم (كما في ثورات الفلاحين ضد الإمبراطورية)^[١].
٣. الشرعيّة الشعبيّة بديلاً للشرعيّة الدينيّة/الإمبراطوريّة: يجب أن تستمدّ السلطة من إرادة الجماهير، لا من (تفويض سماوي) كما في الكونفوشيوسيّة، أو من النخب.

شعاراتُ مأثورةٌ من التاريخ الصيني

- شعار ثورة العمامات الصفراء^[٢] (١٨٤-٢٠٥م) ضدّ أسرة هان: «السماء قد ماتت، وسماء جديدة ستولد»^[٣]. يعبرّ هذا الشعار عن اعتقاد الثوّار بأنّ شرعيّة حكم أسرة هان قد زالت، ويجسّد أملهم في إقامة نظامٍ جديدٍ مختلفٍ، يعكس تطلّعهم إلى مجتمعٍ عادلٍ خالٍ من الفساد.
- شعار ثورة تايينغ^[٤] (١٨٥٠-١٨٦٤م) ضدّ أسرة تشينغ: «أرض مشتركة، طعام مشترك، لباس مشترك»^[٥]. يقدّم هذا الشعار نموذجاً شيعياً بدائياً يرتكز على إعادة توزيع الموارد، وفقاً لما نصّ عليه (نظام الأرض للأسرة السماويّة).

التطوّر التاريخي لفكرة الخلاص في الصين

- أولاً: المرحلة الكلاسيكيّة: الخلاص بوصفه استعادةً للنظام الكوني
- الفكر الكونفوشي: الخلاص يعني تحقيق (الانسجام)، عبر الالتزام بالطقوس والعلاقات الأخلاقيّة.

[١] مجلة (بناء الصين) بكين، تاريخ الصين، ج١، ص ٩٣-٩٦.

[٢] هيلدا هوخام، تاريخ الصين، ص ١٠٧.

[٣] موسوعة ويكيبيديا العربيّة، تحت عنوان: (تمرّد العمامات الصفراء) فقرة التأسيس.

[٤] لون ستيوارت، من ثورة التايينغ إلى حرب فيتنام، ص ٢٩-٥٥.

[٥] لون ستيوارت، من ثورة التايينغ إلى حرب فيتنام، ص ٣٣.

- الفكر الطاوي: الخلاص هو العودة إلى (الطبيعة)، ورفض التكلّف والتصنّع.
- الفكر البوذي: الخلاص يتم عبر الخلاص الفردي (النيرفانا) والجماعي (مجتمع بوديساتفا).

ثانياً: المرحلة الثوريّة: الخلاص بوصفه مشروعاً جماعياً
- حركات الخلاص الشعبي، مثل ثورة تايبينغ، حوّلت الفكرة من فردية إلى جماعية.
- تحوّل مفهوم العدالة من بُعد أخلاقي إلى مطلبٍ ماديّ (توزيع الأرضي، إلغاء الامتيازات).

- أصبح الخلاص مرتبطاً بـ (التطوّر)، و (القوة الوطنية).
ثالثاً: المرحلة المعاصرة: الخلاص بوصفه نهضةً شاملة
- الخلاص مشروعٌ تنمويّ (القضاء على الفقر، التقدّم الصناعي).
- الخلاص استعادة المكانة الدولية (نهضة الصين).
- الخلاص توازن بين التقاليد الصينية والحداثة العالمية.

تستمر فكرة الخلاص في الثقافة الصينية كنسيجٍ مركّبٍ يتطوّر عبر التفاعل بين ثلاثة أبعاد: البعد الفلسفي (الموروث الكونفوشي والطاوي والبودي)، والبعد السياسي (شرعية الحكم وعلاقة الحاكم بالمحكوم)، والبعد الاجتماعي (السعي للعدالة الاجتماعية والرفاهية المادية).

تجسيد فكرة (المنقذ) في السياق الصيني عبر التاريخ

شهد التاريخ الصيني ظهور شخصيات عديدة ادّعت أنّها (المنقذة) أو مرتبطة بفكرة المخلص، مستندة إما إلى رموز دينية أو أيديولوجيات سياسية، في محاولة لتجسيد فكرة المنقذ الموعود بأشكالٍ متعدّدة. ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

- في العصور القديمة: (تشانغ جياو)، زعيم ثورة العمائم الصفراء (١٨٤-



٢٠٥م)، الذي ادّعى أنّه (النبيّ المختار) لإنقاذ الشعب من ظلم أسرة هان، مستنداً إلى معتقدات طاوية. أطلق ثورة كادت أن تززع أركان الإمبراطورية، وادّعى قدرته على علاج الأمراض وإقامة دولة العدل^[١].

• في العصر الإمبراطوري: الإمبراطورة (وو تسه تيان)^[٢] من أسرة تانغ (٦٩٠-٧٠٥م) التي قدمت نفسها بشكل مباشر على أنّها تجسيد لـ(مايتريا) بوذا المستقبل الذي سيأتي ليقود الأمة الصينية إلى عالم مثالي، ما عزّز من شرعية حكمها بشكل كبير بين عامة الشعب المتأثر بالبوذية.

• في العصر الحديث: (هونغ شيوتشوان) قائد ثورة تايبينغ^[٣] (١٨٥٠-

[١] كالي شتسياتسكي، موقع شركة الفكر الأمريكية، تمرد العمامة الصفراء في الصين.

[٢] موسوعة ويكيبيديا الحرة - العربية، تحت عنوان: (وو تسه تيان) فقرة أسطورة.

[٣] حركة تايبينغ: محاولة خلاص ديني- ثوري في الصين القرن التاسع عشر، شكّلت حركة تايبينغ (١٨٥٠-١٨٦٤م) إحدى أكثر المحاولات ثورية وإشكالية في التاريخ الصيني لتحقيق (الخلاص) عبر مزيج من الرؤى الدينية والثورة الاجتماعية. قادها هونغ شيوتشوان (١٨١٤-١٨٦٤)، وهو مُعلّم صيني فشل في الامتحانات الإمبراطورية وتعرّض لرؤى دينية (١٨٣٧) خلال مرضه، ما أدّى به إلى الاقتناع بأنّه (الشقيق الأصغر ليسوع المسيح). بعد اطلاعه على كتيبات مسيحية تبشيرية (١٨٣٣)، آمن بأنّه مكلف من (الله) لتطهير الصين من (القوى الشيطانية) - والتي شملت حسب تفسيره حكم أقلية المانشو والأديان التقليدية الصينية - وإقامة (مملكة الله) على الأرض، تبنت الحركة أيديولوجية هجينة جمعت بين: مسيحية غير معروفة (الإيمان بآله واحد ورفض الثالوث، مع عدّ هونغ شقيقاً ليسوع)، رفض عنيف للتراث الصيني (عدّ الكونفوشيوسية والبوذية والطاوية أشكالا للعبادة الشيطانية)، برنامج إصلاح راديكالي: إعادة توزيع الأراضي، مساواة نسبية بين الجنسين، وتحريم الأفيون والمخدرات، من الناحية العسكرية والسياسية، أعلنت الحركة تمردها (١٨٥١)، وسيطرت على نانجينغ (١٨٥٣) وجعلتها عاصمة لها، وحكمت مناطق شاسعة من وسط الصين لمدة ١١ عاماً. إلا أنّ العنف الداخلي بين قادتها (١٨٥٦) والهجوم المضاد لحكومة تشينغ بدعم غربي بقيادة (غوردون الصيني)، أدّى إلى انهيارها وسقوط نانجينغ (١٨٦٤) ووفاة هونغ انتحاراً (يوليو ١٨٦٤).

تعدّ حرب التايبينغ واحدة من أكثر الحروب دموية في التاريخ البشري، حيث قدرّت الضحايا بـ ٢٥-٣٠ مليون نسمة. وكانت لها آثار عميقة على سلالة تشينغ، حيث أنهكت موارد الدولة وأسهمت في انهيارها لاحقاً (١٩١١).

المصدر: موسوعة بريتانیکا (Encyclopedia Britannica) Taiping Rebellion | Causes, Effects, & Facts | Britannica & هونغ شيوتشوان | النبي الصيني ، زعيم تمرد تايبينغ | بريتانیکا

١٨٦٤م)، الذي ادّعى أنّه الشقيق الأصغر للمسيح، ومبعوث من الله لإقامة (مملكة السلام السماوي العظمى) وطرد القوى الشيطانية من الصين. أسس دولةً مستقلةً استمرت ١٤ عامًا، وشكّلت تهديدًا خطيرًا لسلطة أسرة تشينغ. ولا تزال هذه الحركة واحدةً من أبرز الحركات الدينية والسياسية إثارةً للجدل في التاريخ الصيني الحديث.

• **في الصين المعاصرة:** تم تقديم «ماو تسي تونغ» (١٨٩٣-١٩٧٦) قائدًا شيوعيًا، فهو لم يدعِ بشكلٍ مباشر، لكن الخطاب الرسمي صوّره منقذًا للأمة من خلال الدعاية السياسية، خاصة خلال الثورة الثقافية (١٩٦٦-١٩٧٦م)، حيث صُوّر كـ(البطل الخلاصي)^[١].

• **في الإطار الفلسفي والديني:** ظهرت حركاتٌ بوذيةً وطاويةً حديثة، مثل أتباع مدرسة الأرض الطاهرة (بوذية) الذين ينتظرون ظهور (مايتريا) بوذا المستقبل، أو جماعات (طاوية) تروج للمعلمين الروحيين كمنقذين في المستقبل.

يبين هذا الاستعراض الموجز كيف أنّ فكرة المخلص الموعود قوية التأثير في الضمير الصيني عبر العصور، وإنّ ظلّ تنفيذها على أرض الواقع معقدًا ومليئًا بالتحديات. كما يعكس سمةً متكررةً في التاريخ الصيني، تمثّلت في اللجوء إلى الرموز الخلاصية خاصة في فترات الأزمات الحادة، كالفساد السياسي والغزو الأجنبي والمعاناة الاقتصادية، ما يؤكّد أنّ الفطرة الإنسانية لفكرة الخلاص متجذرة بقوة في الوجدان الصيني، ويجعلها مكونًا أصيلًا في الثقافة الشعبية.

مقارنة الخلاص الشعبي الصيني مع نماذج أخرى:

- مقابل المهدوية الإسلامية: يتشاركان في فكرة المنقذ (مثل قادة الثورات الشعبية)، لكن الخلاص الصيني دنيويّ بالكامل من دون أي بُعدٍ غيبي.

مصدر آخر: God's Chinese Son: The Taiping Heavenly Kingdom, Jonathan Spence (New York: W. W. Norton, ١٩٩٦).

[١] ريتشارد كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ص ٣٨-٤٢، ضمن فقرة (تأليه ماو).



- مقابل البوذية: البوذية تقدّم خلاصاً فردياً من المعاناة، بينما الخلاص الشعبي جماعي ومادي.

قراءة استراتيجية: الخلاص الشعبي الصيني مقابل المهدويّة الإسلاميّة

يمثّل النموذج الشعبي الصيني رؤيةً خلاصيّةً ماديّةً وقوميّةً بحتةً تنتظر التحرّر من خلال الثورة الشعبيّة وإعادة توزيع الثروة. في المقابل، تقدّم المهدويّة الإسلاميّة نموذجاً خلاصيّاً يجمع بين البعد المادي (إقامة العدل)، والبعد الغيبي (القائد المعصوم). يتفق كلا النموذجين على رفض الظلم الطبقي والسعي نحو عدالةٍ شاملة، إلّا أنّ المهدويّة تمنح الشرعيّة الدينيّة والعالميّة للقضاء على الظلم والجور، بينما يعتمد النموذج الصيني على القوميّة والشرعيّة الشعبيّة والإرادة البشريّة فقط. إستراتيجيّاً، يبقى الفارق الجوهرى في المصدر (الشعب مقابل السماء)، والقيادة (الزعيم الثورى مقابل المنقذ الإلهي).

مقارنة استراتيجية بين الخلاص الشعبي الصيني والمهدويّة الإسلاميّة

البعد	النموذج الصيني	المهدويّة الإسلاميّة
الزمنيّة	تاريخيّة دنيويّة (تحقّق في الزمن)	آخر الزمان - نهاية التاريخ
الفضاء	أرضي مادي (المجتمع والدولة)	سماوي وأرضي (مادي وروحي)
الفاعل	جماعي (الشعب/الأمة/الدولة)	جماعي (المهدي/البشريّة كافة)
الآليّة	تراكمي تطوّري (إصلاح تدريجي)	ثوري شامل (تحوّل جذري)
الهدف	نظام ورفاهيّة (الاستقرار المادي)	عدالة مطلقة، و(الخلاص الروحي)

خلاصة استراتيجية:

يمكن القول إنّ رؤية الخلاص في الضمير الشعبي الصيني ليس مفهومًا غيبيًا أو مستقبليًا (البحث عن المدينة الفاضلة)، بل هي إعادة تشكيل للواقع المادي

(البحث عن العدالة الأرضية). وقد ترسّخ هذا المفهوم في الثقافة الشعبية الصينية، مع التأكيد على أنّ الخلاص الصيني هو خلاصٌ جماعيٌّ ومؤسّسيٌّ، وليس فردياً أو كارزماًتياً؛ وهذا يفسر استمرارية هذه الفكرة وتجديدها وتغيير شكلها في مراحل التاريخ الصيني، مع الحفاظ على الجوهر الأساسي، وهو السعي لتحقيق العدالة والرفاهية في الحياة الدنيا للأمة الصينية.

تحوّلات مفهوم الخلاص في الاستراتيجية الصينية المعاصرة

تمتلك الصين تصوّراً فريداً للخلاص يختلف عن النماذج الدينية الإبراهيمية التي تركز غالباً على الارتباط بالسماء وقيادة مخلصٍ فرديٍّ (المهدي / المسيح) في آخر الزمان. ف(الخلاص) في الفكر الصيني يفهم بوصفه عمليةً ومساراً ونسقاً عملياً وحدثاً تراكمياً. إنه خلاصٌ ماديٌّ دنيويٌّ قوميٌّ في كثيرٍ من جوانبه.

في التصوّر الصيني، لا ينظر إلى الخلاص بوصفه خلاصاً روحانياً منبثقاً من عالم غيبي، بل عملية بناء جماعيٍّ لأمةٍ قويةٍ ومتناغمةٍ ومزدهرة. ويأخذ هذا الخلاص أبعاداً قوميةً وسياسيةً واقتصاديةً، مدفوعةً برؤيةٍ وطنيةٍ تسعى إلى إعادة الصين إلى موقعها المركزي في العالم. ورغم بقاء الجذور الفكرية والفلسفية (كالبودية والطاوية والكونفوشيوسية) حاضرةً في الخلفية - ولو بتأثيرات محدودة - فإنّها تخضع اليوم لإعادة تأويلٍ وتوظيفٍ أيديولوجي يخدم مشروع الدولة الحديثة^[١].

مع سقوط الإمبراطورية الصينية عام ١٩١١م، وما تبعه من حروب أهلية، واحتلالات أجنبية، وتراجع حضاري^[٢] خلال ما يُعرف بـ«قرن الإذلال» (١٨٣٩-١٩٤٩)، برزت حاجة ملحة لإعادة بناء مفهوم الخلاص ضمن مشروع قومي

[١] ريتشارد كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ص ١٢-٢٨.

[٢] كريل هـ. ج، الفكر الصيني - من كنفوشيوس إلى ماو تسي: (تأثير الغرب)، ص ٣٤١-٣٤٤.



حديث^[١]. في هذا السياق، أعيد إحياء مفاهيم قديمة مثل (النعيم العظيم)، و(الحلم الصيني) بوصفها صيغةً معاصرةً لفكرة (الوحدة العظمى). ولم يعد المقصود بها تحقّق وعدٍ سماوي، بل هدف دنيوي يتمثّل في نهضة الأمة الصينيّة واستعادة مجدها التاريخي. وهكذا أصبحت نهضة الأمة الصينيّة السردية الخلاصيّة المهيمنة في العصر الراهن.

كما أعيد توظيف الصورة الكونفوشيّة للحكيم، أو الحاكم الفاضل (الذي يحكم بالفضيلة ويرعى الشعب) وإسقاطها على الحزب الحاكم، حيث يصوّر الحزب الشيوعي بوصفه الحاكم الفاضل الجديد. ولم يعد يستمد شرعيته من السماء مباشرة، بل من إرادة الشعب (امتداداً لفكرة «السماء تسمع بأذان الشعب»)، هذا الانزياح جعل من الدولة والحزب معاً أداة الخلاص وغايته، وحول الخلاص إلى مشروعٍ سياسيٍّ واستراتيجيٍّ يوجّه السياسات الداخليّة والخارجيّة للصين.

الأسس الفكرية للخلاص في الصين المعاصرة

١. الكونفوشيوسية الحديثة: استعادة مفهوم (الانسجام الاجتماعي) بوصفه غايةً نهائيةً، ولكن عبر وسائل مادية وتنمويّة.
٢. الماركسية الصينيّة: النظر إلى الخلاص بوصفه مشروع تحرّر من الاستعمار والتخلّف، مع إعادة صياغته في اتجاهٍ قوميٍّ يتجاوز الطابع الأممي.
٣. العلمانيّة: فصل رؤية الخلاص عن البعد الأخلاقي والغبيي والديني، وتحويله إلى مشروعٍ ماديٍّ قوميٍّ قائمٍ على التقدّم التقني والاقتصادي.
٤. المركزية: عدّ الدولة الفاعل الرئيس في تحقيق الخلاص من خلال التنمية الشاملة والاستقرار الاجتماعي.
٥. القومية الصينيّة: الخلاص بوصفه استرداداً للكرامة الوطنية والتمركز

[١] جون كولر، الفكر الشرقي القديم: (الفكر الصيني الحديث)، ص ٤٠٧-٤٠٨.

مجددًا في قلب النظام العالمي.

الشعارات والنصوص المجسدة للخلاص الصيني الحديث

١. شعار (النعيم العظيم)^[١] المستمد من النصّ السنسكريتي الأصلي، وكتاب (الأرض الطاهرة)، ويستخدم اليوم للدلالة على المجتمع المثالي المتكافئ.
٢. شعار (الحلم الصيني)^[٢] الذي أطلقه الرئيس شي جين بينغ عام ٢٠١٢، ويجسد طموح النهضة القومية الصينية، وقال: «هو التجديد العظيم للأمة الصينية»^[٣].
٣. شعار (النهضة العظيمة للصين)^[٤] الذي يعكس السعي لاستعادة مكانة الصين كقوة عالمية رائدة.

التطور التاريخي لمفهوم الخلاص في الصين الحديثة

يمكن تلخيص مراحل^[٥] تطور مفهوم الخلاص في الصين الحديثة على النحو الآتي:

١. مرحلة ما قبل الجمهورية (قبل ١٩١١م): كانت الرؤى الخلاصية لا تزال تدور في فلك الفلسفات التقليدية والموروث الشعبي (مثل الكونفوشيوسية، والطاوية، والبوذية).

[١] كتاب: (The Land of Bliss) الكتاب بأكمله وصف هذه الأرض المثالية التي وعد بها بوذا أميتابها للمؤمنين به.

[٢] خطاب: الرئيس شي جين بينغ في المتحف الوطني الصيني، نوفمبر ٢٠١٢. الموقع الرسمي للحزب.

[٣] موسوعة ويكيبيديا الحرة - العربية، تحت عنوان: (الحلم الصيني).

[٤] تقرير شي جين بينغ في المؤتمر الوطني الـ ١٩ للحزب الشيوعي الصيني (١٨ أكتوبر ٢٠١٧). الموقع الرسمي للحزب.

[٥] جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مقتبس من ص ٢٢٣-٢٨١.



٢. مرحلة الجمهوريّة (١٩١١-١٩٤٩): بدأت مفاهيم الخلاص تأخذ طابعاً قومياً، خاصّةً مع صعود الحركات المناهضة للاستعمار الغربي.
٣. مرحلة ماو تسي تونغ (١٩٤٩-١٩٧٦): تحوّل الخلاص إلى مشروعٍ ثوريّ ماركسي، ويصاغ في إطار صراعٍ سياسي، يقدّم فيه الحزب بوصفه المنقذ للشعب.
٤. مرحلة الإصلاح والانفتاح (١٩٧٨-٢٠١٢): انتقلت الرؤية إلى خلاص اقتصاديٍّ وتنموي، يركّز على رفع مستويات المعيشة وتجاوز الفقر.
٥. المرحلة الراهنة (٢٠١٢ - الآن): أصبح الخلاص مشروعاً مركّباً متعدد الأبعاد: اقتصادي، ثقافي، أيديولوجي، واستراتيجي، ضمن إطار (الحلم الصيني).

الأحداث والمحركات الرئيسة

- عدّة أحداث ومحطّات^[١] أسهمت في بلورة الرؤية المعاصرة للخلاص:
- الإذلال الاستعماري في القرن التاسع عشر، ولا سيّما حروب الأفيون (١٨٣٩-١٨٦٠) وتقسيم الصين.
 - سقوط الإمبراطورية الصينيّة «سلالة تشينغ» (١٩١١ م)، وما تلاه من فوضى.
 - الحرب الصينيّة اليابانية (١٩٣٧-١٩٤٥) وتعميق الهيمنة الخارجيّة.
 - التجربة الشيوعيّة ومحاولات بناء الإنسان الصيني الجديد.
 - الصعود العالمي في القرن الحادي والعشرين وما رافقه من تحولاتٍ ثقافيّة واجتماعيّة.
 - الطموح في تجاوز النموذج الغربي للتقدم التقني، والسعي لبناء نظامٍ عالميٍّ متعدّد الأقطاب.

[١] ريتشارد كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ص ١٢٣-١٢٥.

خلاصة الرؤية المعاصرة للخلاص

- الخلاص: تحقيق مجتمع (النعيم العظيم) عبر تنمية قومية ماديةً دنيويةً.
 - الوسيلة: التحديث الاقتصادي، والتطور التكنولوجي، والتعزيز الأيديولوجي تحت قيادة الحزب الحاكم.
 - الغاية: بناء صينٍ قويةٍ ومزدهرةٍ تُعيد مجدها الحضاري، وتؤدي دوراً قيادياً عالمياً.
- هذا التحول من مفهومٍ روحيٍّ وأخلاقيٍّ إلى مشروعٍ سياسيٍّ واستراتيجيٍّ ماديٍّ متكاملٍ يجعل من النموذج الصيني للخلاص موضوعاً غنياً للتأمل والنقد، خصوصاً في ظلِّ التحديات العالمية الراهنة.

الخلفية الفكرية لمفهوم الخلاص الصيني المعاصر

- ينبع التصوّر الصيني المعاصر للخلاص من تمازج ثلاثة روافد رئيسة:
- التراث الفكري والفلسفي الصيني الذي يركز على الانسجام الاجتماعي.
- الماركسيّة التي تطرح مشروعاً للتحرّر الجماعي.
- القومية الصينيّة التي تسعى إلى استعادة الكرامة التاريخية.

وقد أفرز هذا المزج نموذجاً خلاصياً خاصاً يتمحور حول الدولة بوصفها قائدة الانفاذ الجماعي. وتخضع هذه التيارات لإعادة صياغة تخدم مشروع الدولة: توظيف الكونفوشيوسية والموهيستية (من التراث الفكري والفلسفي القديم) لدعم الاستقرار، والماركسيّة لتبرير دور الحزب، والقومية لتعزيز الوحدة الوطنية.

مقارنة استراتيجية موجزة: المهدوية مقابل الخلاص الصيني المعاصر

بينما تركز الرؤية المهدوية على خلاصٍ شاملٍ للبشرية كافة، يتم عبر تدبيرٍ إلهيٍّ وقيادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام في آخر الزمان، فإنّ الخلاص الصيني



يقدم مشروعاً قومياً دنيوياً تقوده الدولة والحزب.

- الرؤية المهدوية تمزج بين البعد الروحي والمادي، الدنيوي والأخروي.
- أمّا الرؤية الصينية فتركز على البعد المادي والدنيوي المرتبط بالأمة والتاريخ.

المهدويّة تسعى إلى إقامة الخلاص الشامل والعدل المطلق، أمّا المشروع الصيني فيسعى إلى الانسجام القومي وتحقيق الرفاه الاقتصادي. وكلا النموذجين يحمل بُعداً خلاصياً، لكن على أسس متباينة جذرياً.

الخاتمة: خلاصات استراتيجية

تحوّل مفهوم الخلاص في الصين من فكرة كونية إنسانية إلى مشروع قوميّ مادي، ومن رؤية أخلاقية وفلسفية إلى أداة عملية لبناء الأمة المعاصرة. وهو مشروعٌ دنيويّ جماعيّ يستهدف إعادة صياغة أهداف الأمة الصينية على وفق رؤية الدولة المركزية^[١]، على خلاف الرؤية المهدوية التي تتطلع إلى خلاص البشرية جمعاء.

غير أنّ هذا التحوّل ينطوي على مخاطرة: إذ يتمّ تسييس التراث الفلسفي وتحويله إلى أيديولوجيا تبرر هيمنة الحزب والدولة، وتخضع الفرد لمشروع الجماعة، على حساب الحريات الفردية والمشاركة الديمقراطية، تحت شعارات التحديث والتنمية. كما يفتقر هذا النموذج الخلاصي إلى البعد الروحي والأخروي وإلى الانفتاح الإنساني الشامل.

[١] وفقاً لبيان صدر من الحزب الحاكم بتاريخ ١٤ أكتوبر ٢٠١٦ م. بعد الجلسة السابعة للجنة المركزية الثامنة عشر للحزب الشيوعي الصيني، بعنوان: (تغييرات عميقة وجوهرية)، والذي ينص: «هذه التغييرات والإنجازات التاريخية تقف عند نقطة بداية تاريخية جديدة، وهو أمر ذو أهمية كبيرة وبعيدة المدى للبلاد». موقع الحزب/ وثائق.

خلاص بلا معنى: الماديّة الصينيّة في مواجهة الرؤية المهدويّة

تقدّم الصين الحديثة نموذجاً مادياً للخلاص يركز على التقدّم الاقتصادي والقوة الوطنيّة، محولةً بذلك المفهوم الفلسفي من الانسجام الكوني إلى مشروع مادي. غير أنّ هذا النموذج يولّد - رغم نجاحه الظاهري - فراغاً معنوياً عميقاً، يثير تساؤلاتٍ جوهريةً حول قدرته على تلبية الحاجات الإنسانية المعنويّة والروحيّة. في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى قراءة نقديةٍ مقارنةٍ تكشف حدود النموذج الصيني وتقابلها بالرؤية المهدويّة.

أولاً: التحوّل الفلسفي للخلاص: من الانسجام الكوني إلى المشروع المادي

يمثل التحوّل في مفهوم الخلاص الصيني من القديم إلى الحديث نقلةً نوعيّةً في الجوهر والوسيلة والغاية، يمكن تلخيصها في المحطّات الفكرية الآتية:

١. من الخلاص الطبيعي الروحي إلى الخلاص المادي:

- القديم: كان الخلاص يعني الانسجام مع النظام الكوني الكلي (الطاو أو السماء) كمشروع وجودي يهدف إلى محاكاة نظام السماء في الأرض.

- الحديث: أصبح الخلاص مشروعاً هندسياً تقنياً، يهدف إلى إعادة تشكيل العالم وفقاً لإرادة الصين باستخدام أدوات التخطيط المركزي ومشاريع البنية التحتية العملاقة.

٢. من الحكيم المنقذ إلى الحزب المنقذ:

- القديم: ارتبط الخلاص بفردٍ استثنائيٍّ (الإمبراطور-الحكيم، أو الراهب المتصوّف) يمثل تجسيداً للفضيلة أو الاتصال بالكون.

- الحديث: تم تأميم فكرة الخلاص، حيث حلّت المؤسسة الحزبية محلّ



الفرد المنقذ، وأصبح الخلاص نتاجاً لآلة بيروقراطية تقودها إرادة جماعية.

٣. من النموذج التكراري إلى النموذج التقدّمي:

- القديم: كان المثال الأعلى موجوداً في الماضي (العصر الذهبي للحكماء أو المملكة الوسطى)^[١]، والخلاص عملية استعادة لدوران تاريخي.

- الحديث: تحوّل المثال الأعلى إلى المستقبل (الحلم الصيني). والخلاص عملية تنمية تقدّمية تقوم على قطيعة مع الماضي القريب (قرن الإذلال).

٤. من الأخلاق كوسيلة إلى التكنولوجيا كوسيلة:

- القديم: كانت أدوات الخلاص أساساً أخلاقية وسلوكية (الطقوس، التأمل، الفضيلة).

- الحديث: أصبحت أدوات الخلاص مادية وتقنية (التخطيط الخماسي، البنية التحتية)، مع تحييد البعد الأخلاقي لصالح المفاهيم القومية (حيث أصبحت الفضيلة تعني الانضباط والعمل من أجل الوطن).

٥. من الخلاص الداخلي إلى الخلاص التوسّعي:

- القديم: كان الخلاص يعني الحفاظ على التوازن الداخلي والاجتماعي.

- الحديث: أصبح الخلاص مشروعاً مادياً توسعياً، يسعى لإنقاذ الصين أولاً وأخيراً عبر مشاريع تنموية عالمية مثل مبادرة الحزام والطريق.

لقد تحوّل مفهوم الخلاص في الصين من كونه حالة شخصية داخلية قائمة على الانسجام مع النظام الكوني، إلى مشروع ماديّ فعّال لإعادة بناء العالم وفقاً لطموحات صينية، متخلياً عن الموروث الفلسفي القديم (الانسجام، الجماعة)

[١] ويليامز ويلز، تاريخ الصين: الفصول التاريخية من المملكة الوسطى، القسم الأول ص ٥٣-١. Williams Wells, A History of China "the middle kingdom", P-٥٣-١.

مستبدلاً إياه بألةٍ حديثةٍ من التخطيط والتكنولوجيا والقوة، محوِّلاً الغاية من الفضيلة إلى الهيمنة، ومن الحكيم الفرد إلى الحزب والدولة.

وهكذا نجد أنَّ الفرق الأساس يكمن في التحوُّل من الخلاص بوصفه حالةً وجوديةً إلى الخلاص بوصفه مشروعاً سياسياً. فبينما كان الخلاص في المفهوم القديم داخلياً وأخلاقياً مرتبطاً بانسجام الفرد مع الكون أو المجتمع، أصبح في المفهوم الحديث مشروعاً قومياً مادياً تسيطر عليه الدولة.

قراءة تحليلية استراتيجية

يمثل هذا التحوُّل في مفهوم الخلاص الصيني من القديم إلى الحديث انحرافاً عن الجوهر الحضاري الصيني الممتد لآلاف السنين، وتخلياً عن الهوية الفكرية التراثية لصالح هويةٍ حديثةٍ تشكَّلت نتيجةً للهجين الذي حدث بسبب الاستعمار والتغريب ومحاولة مجاراة الدول الغربية. يُعدُّ التحوُّل نحو المادية السمة الأبرز، وهو تحوُّلٌ يرافقه تخلُّ عن البُعد الأخلاقي والروحي، وثمنه باهظٌ جداً؛ إذ تحوُّل الفرد الصيني إلى (برغي) في آلة النهضة. وتشكَّل هذه إحدى مفارقات الحضارة الصينية الحديثة؛ إذ إنَّ ثمن النهضة المادية هو إهمال البعد الروحي إلى حدٍّ كبير.

ما يؤكِّد أنَّ هذا التحوُّل يحمل شيئاً من الانزياح، أنَّا نجد فيه انحرافاً عن التوازن الإنساني بين المادة والروح، من منظورٍ قيميّ إنسانيٍّ شاملٍ. وبهذا المعنى، نجد أنَّ الخلاص الصيني الحديث يصلح وصفةً للتنمية الاقتصادية والمادية، لكنّه لا يصلح رؤيةً للخلاص الإنساني الشامل؛ فالبشرية تبحث عن معنى، وعن نبراسٍ روحيٍّ وأخلاقيٍّ للإنسانية. إنَّ نموذج الخلاص الصيني الحديث يطعم الجسد، لكنّه يجوِّع الروح؛ وهذا ما يخلق أزمةً معنويةً، وفراغاً روحياً خفياً تحت مظلة النجاح المادي الضخم.



ثانيًا: القصور الوجودي: انتقادات للنموذج الصيني الحديث للخلاص

تواجه الرؤية الصينيّة الحديثة للخلاص جملةً من الانتقادات الجوهرية التي تشكك في قدرتها على تقديم نموذجٍ خلاصيٍّ متكامل، نستعرض أبرز هذه الانتقادات فيما يأتي:

١- اختزال الإنسان في بُعد المادي

الانتقاد المركزي: يقدّم النموذج الصيني خلاصًا منغلّقًا على العالم المادي والتاريخ البشري، ويخلو من أيّ بعدٍ معنويٍّ أو غيبيٍّ؛ مما يفقد الحياة الإنسانيّة معناها الأسمى. يُعدّ هذا هو الثمن التاريخي الذي دفعته الصين للخروج من (قرن الإذلال)؛ فقد ضحّت بالروح من أجل الجسد. هذه المعضلة بدأت تطفو على السطح الآن داخل الصين نفسها، حيث بدأ جيل الشباب الذي نشأ في الرفاهية يتساءل: ماذا بعد؟

يُعدّ الافتراق الخفي بين الماديّة الحديثة والتراث الفكري الصيني هو المستوى الفلسفي الأعمق الذي يغفله الكثيرون. فالتحوّل إلى الماديّة كان غريبًا عن البنية الفلسفيّة الصينيّة التقليديّة، وثنمه كان باهظًا: فقدان الروح الفرديّة في سبيل خلاص الجماعة. صحيح أنّ الصين تحاول حاليًا إنقاذ جسد الدولة القوميّة كقوة عظمى، لكن حضارتها أصيبت في صميم روحها؛ مما يصعب عليها أن تتحوّل إلى حضارةٍ عظيمةٍ بالمعنى الشامل.

٢- النزعة المركزيّة وتهميش الثقافات الأخرى

هذه ليست سمةً للنموذج الحديث فحسب، بل هي متجذّرة في الثقافة الصينيّة التاريخيّة؛ ففكرة (المملكة الوسطى) التي تُعدّ مركز العالم حضاريًا وثقافيًا تشكّل الهوية الأساسيّة. النموذج الحالي يمثّل استعادةً لهذه المركزيّة بلغة العصر (اقتصاديًا وتكنولوجيًا بدلًا من ثقافيًا وأخلاقيًا). وهو لا يهتمّ الآخرين عن قصدٍ

عدائي، بل ينظر إليهم من خلال منظور منفعي بوصفهم شركاء، ومستهلكين، وأدواتٍ لتعزيز النهضة الصينية. إنّه يقدّم خلاصاً للجميع، لكن بقيادةٍ وشروطٍ صينية.

من المؤكد أنّ الرؤية الصينية للخلاص هي رؤيةٌ قوميةٌ في جوهرها قبل أن تكون إنسانيةً عالميةً. وهنا تكمن الإشكالية العميقة: كيف يمكن لرؤيةٍ خلاصيةٍ أن تكون عالميةً وهي تضع أمةً واحدةً (مهما عظمت) في مركز التاريخ، وهدفًا له؟ وهذه نقطةٌ بالغة الدقة؛ إذ ترفض الصين فرض النموذج الغربي عليها تحت شعار (العالمية)، لكنّها في المقابل تقدّم نموذجها الخاصّ بديلاً مشروطاً بالانتماء إلى المنظومة الصينية أو القبول بقيادتها.

٣- صعوبة التصدير خارج الإطار الصيني

تفتقر الرؤية الصينية للخلاص إلى الجاذبية لدى الشعوب الأخرى. فالمجتمعات التي تتمحور هويتها حول الدين والتعاليم السماوية، أو التي تضع الحرية الفردية والحقوق السياسية في أعلى سلم أولوياتها، ترى في النموذج الصيني خلاصاً فارغاً من الروح، يقدّم الرفاهية المادية لكنّه يسلب المعنى الحقيقي للإنسانية.

هو نموذجٌ عصي على التصدير خارج الإطار الصيني، إذ يمكن تصدير أدواته (الاستثمار، والتكنولوجيا، وطرق الإدارة)، لكن لا يمكن تصدير جوهره؛ لأنّه لا يقدّم رسالةً أخلاقيةً عالميةً. كما أنّه مُكلّفٌ ثقافياً، حيث يتطلّب إذابة الهوية الفردية والثقافية في بوتقة الدولة القومية، وهو ما ترفضه معظم الشعوب. النجاح المادي الصيني مذهل، لكن السؤال الجوهرى هو: هل يمكن تصدير الحلم الصيني؟ الجواب هو النفي؛ لأنّه حلمٌ مرتبطٌ بهويةٍ وتاريخٍ وشعبٍ لا يمكن استنساخه. بينما يمكن لأيّ إنسانٍ في العالم أن يؤمن بفكرة (المخلص الموعود)، أو (العدل المطلق)، أو (الكرامة الإنسانية) بغض النظر عن هويته.



٤- غياب البُعد السماوي والروحي

يشكّل فقدان البُعد الغيبي أحد أبرز أوجه القصور البنيوي في النموذج الصيني الحديث. فبينما تشكّل العلاقة مع الخالق حاجةً إنسانيةً أساسيةً في معظم الحضارات، يقتصر الخلاص الصيني على العالم المادي المحسوس، هذا القصور يظهر على ثلاثة مستوياتٍ متداخلة:

- أولاً: على المستوى الإنساني: يختزل النموذج الصيني للخلاص الإنسان في كائن إنتاجيٍّ استهلاكيٍّ يقتصر على العالم المادي، متجاهلاً حاجته الفطريةً للارتباط بالخالق والأبعاد المعنوية المطلقة كالعدالة والكرامة والسؤال عن المصير بعد الموت. هذا القصور الروحي يترك فجوةً وجوديةً عميقة؛ فبالرغم من الرفاه المادي، يعاني الشباب الصيني من القلق الوجودي والفراغ المعنوي؛ ما يدفعهم للإقبال على ممارساتٍ روحيةٍ بديلةٍ كاليوغا والتأمل.

- ثانياً: على المستوى الأخلاقي: يفتقر النموذج الصيني إلى مرجعيةٍ أخلاقيةٍ سماويةٍ ثابتة؛ مما يجعل القيم قابلةً للتشكيل والتبديل حسب متطلبات (المصلحة الوطنية)، وقرارات الدولة، وليس بناءً على مبادئٍ مستقلة. هذا التحول يجعل الفضائل أدواتٍ لخدمة النظام فقط، ويخلق أزمةً شرعيةً أخلاقيةً تسمح بتبرير أيّ فعلٍ تحت شعار (النهضة القومية)، وتفقد الأخلاق دورها النقدي والتوجيهي للمجتمع.

- ثالثاً: على المستوى الحضاري: يهمل النموذج الصيني الأساس الروحي الذي يمنح الحضارات مرونتها وقوة صمودها، كما يحبس رؤيتها المستقبلية ضمن حدود الزمن الدنيوي والمادي القصير. إنّ فقدان البُعد الروحي والأخروي يضعف جاذبيتها الثقافية، ويحدّ من قدرتها على استقطاب قلوب البشر كافة؛ مما يجعل خلاصها المادي قاصراً عن بناء حضارةٍ عالميةٍ عظيمةٍ وراسخةٍ ذات أثرٍ يتجاوز الرفاه الاقتصادي.

قراءة تحليلية استراتيجية

وبناءً على ذلك فالنموذج الصيني يقدم خلاصاً مبتوراً لا يستجيب لتعقيد الكينونة الإنسانية. فهو قادرٌ على إشباع الجوع المادي، لكنه يعمّق الجوع الروحي. هذه الفجوة الوجودية تجعل النموذج الصيني قزماً معنوياً رغم ضخامته المادية، وهو ما يحدّ من قدرته على التحوّل إلى نموذجٍ خلاصيٍّ شاملٍ للبشرية.

يُعدّ النموذج الصيني شكلاً بدائياً من الخلاص، فهو لا يرقى إلى مستوى رؤية حياة شاملة للإنسان في جانبيها الديني والأخروي. تمثّل الرؤية الصينية الحديثة للخلاص نموذجاً قوياً في مجال التنمية المادية الجماعية تحت مظلة دولة موحدة، لكنها تمثّل أضعف النماذج في مجال الخلاص الروحي الفردي والإنساني. هو يصلح كإجابة على سؤال كيف نعيش؟ من الناحية المادية، لكنه عاجزٌ عن الإجابة عن الأسئلة الجوهرية: لماذا نعيش؟ وإلى أين نمضي؟.

تحاول الصين أن تبني أقوى جسدٍ في العالم، ولكن التحديّ الأصعب يتمثّل في: كيف تعيد لهذا الجسد روحاً؟ إجابة هذا السؤال ستحدّد ما إذا كانت الصين ستبقى دولةً عظيمة، أم ستتحول إلى حضارةٍ عظيمة. الخطر الحقيقي الذي يواجه الخلاص الصيني الحديث ليس في تبني المادية كمرحلة، بل في تجميدها كغاية. فعندما تتحوّل الوسيلة (التنمية المادية) إلى غاية، يصبح ذلك انحرافاً عن الجوهر الإنساني للحضارة.

الخلاصة: الصين تقدّم وصفةً تنمويةً اقتصاديةً ناجحةً، لكنها تفتقر إلى الروح الإنسانية؛ وهذا ما يُفقد الرؤية الخلاصية الصينية جاذبيتها لشعوب العالم المختلفة.



ثالثاً: الخلاص: مقارنةً تقابليّةً بين الرؤية الصينيّة الحديثة والأطروحة المهدويّة

تمثّل المقارنة بين الرؤية الصينيّة الحديثة للخلاص والأطروحة المهدويّة تقابلاً بين نموذجين خلاصيين متباينين من حيث المصدر والغاية والوسيلة؛ إذ تقدّم المهدويّة رؤيةً شاملةً للبشريّة كافة تجمع بين البعد المادي والروحي، أمّا الرؤية الصينيّة الحديثة تركّز على الجانب المادي والدنيوي ضمن إطارٍ قوميٍّ مغلق.

المصدر والمرجعيّة: الأرضي مقابل السماوي

- تنبع الرؤية الصينيّة من مرجعيّة أرضيّة محضّة، تستند إلى الإرادة البشريّة والتخطيط المركزي، حيث تمثّل الدولة والحزب المصدر الأساس للشرعيّة والسلطة.

- في المقابل، تستند المهدويّة إلى مرجعيّة سماويّة، تجعل الإرادة الإلهيّة والوحي مصدراً للشرعيّة، والتأكيد على أنّ التحوّل الخلاصي سيتمّ بتدبيرٍ إلهي، يمتزج فيه الغيب بالإرادة البشريّة خلال مرحلتَي التمهيد والظهور.

الغاية والهدف: القومي مقابل الكوني

- تسعى الرؤية الصينيّة إلى تحقيق النعيم العظيم داخل الإطار القومي، بهدف استعادة مجد الأمة الصينيّة وموقعها المركزي في النظام العالمي.

- بينما تتجه المهدويّة نحو غاية إنسانية شاملة، وهي إقامة العدل المطلق للبشريّة جمعاء، متجاوزةً الحدود العرقية والقوميّة والجغرافيّة.

الوسيلة والآليّة: التدرّج التقني مقابل التحوّل الجذري

- تعتمد الصين على آلية التدرّج التاريخي والتخطيط العلمي، من خلال

مشاريع تنمويّة كبرى مثل (مبادرة الحزام والطريق)، مع التركيز على التراكم المادي والتقدم التقني.

- أمّا المهدويّة، فتعتمد على تحوّل جذريّ شاملٍ يبدأ بظهور الإمام المهدي (عج)، لينتقل بالبشريّة من الظلم إلى العدل، من خلال ثورةٍ قيميةٍ شاملة.

الزمان: التاريخي الدوري مقابل الخطي الغائي

- تقوم الرؤية الصينيّة على مفهوم الزمن الدوري، حيث يعاد إحياء أمجاد الماضي بمفاهيم حديثة، مع التركيز على الاستمرارية الحضارية.

- بينما تبني المهدويّة مفهوم الزمن الخطي الموجّه نحو الغاية، حيث تمثّل نهاية التاريخ مرحلة كمالية في المستقبل تتحقّق مع ظهور الإمام المهدي (عج) ونهاية الظلم.

النطاق: القومي المغلق مقابل الكوني المفتوح

- تقتصر الرؤية الصينيّة على النطاق القومي، رغم امتدادها الاقتصادي عالمياً، حيث تبقى الأمة الصينيّة هي المركز والغاية.

- أمّا المهدوية، فتفتتح على فضاءٍ كوني شامل، حيث تُعد كلّ الأرض ساحةً للعدل والإصلاح والتنمية.

القيادة: الحزب الحاكم مقابل الإمام المعصوم

- تقود الرؤية الصينيّة مؤسسةً حزبيّةً حاكمة، تعمل ضمن تدرّجٍ هرميٍّ وتخطيطٍ جماعي.

- في المقابل، تقود المهدويّة قيادةً مفوّضةً إلهيًّا، متمثلة في الإمام المعصوم، الذي يجمع بين السلطة السياسيّة والشرعيّة الدينيّة.



دور الفرد: التابع للجماعة مقابل الفاعل الأخلاقي

- يختزل الفرد في الرؤية الصينيّة إلى وحدة إنتاجيّة في منظومة جماعيّة، حيث تقدّم مصلحة الجماعة على الحقوق الفرديّة.
- بينما المهدويّة تحافظ على التوازن بين الفرد والجماعة، والتأكيد على المسؤوليّة الأخلاقيّة الفرديّة أمام الله.

العلاقة مع الآخر: المصالح مقابل الأخوة الإنسانيّة

- تنظر الرؤية الصينيّة للشعوب الأخرى من خلال منظورٍ نفعيّ مصلحيّ، حيث تبنى العلاقات الدوليّة على تعزيز المصالح الاقتصاديّة والسياسيّة للأمم الصينيّة.
- أمّا المهدويّة، فتنتقل من رؤية أخلاقيّة إنسانيّة، تؤمن بالأخوة والمساواة في الكرامة، بغض النظر عن الانتماءات القوميّة أو الثقافيّة أو الجغرافيّة أو الدينيّة.

البعد الروحي: الغياب مقابل المركزيّة

- يغيب البعد الروحي والمعنوي والغيبى في الرؤية الصينيّة المعاصرة، ويضعف بدرجة كبيرة لصالح الماديّة والتنمية.
- بينما تُعدّ الروحانيّة والمركزيّة السماويّة في المهدويّة جوهرًا تأسيسيًا، يربط الحياة الدنيا بالآخرة، والمادة بالروح.

الجوهر: الكيفيّة مقابل الغاية

- تركز الرؤية الصينيّة على سؤال: كيف نعيش؟ من حيث التنظيم المادي والمعيشي.
- بينما تجيب المهدويّة على سؤال: لماذا نعيش؟، وتربط الوجود الإنساني بهدفٍ غائيٍّ ومعنويٍّ.

النزعة الإنسانية: الأداء مقابل الكرامة

- تنظر الرؤية الصينية إلى الإنسان بوصفه أداةً وظيفيةً في خدمة التنمية القومية.
- بينما تؤكد المهدوية على كرامة الإنسان المتأصلة، بوصفه خليفةً في الأرض، له قيمةٌ ذاتيةٌ محفوظة.

جدول المقارنة الشامل

البعد المقارن	الرؤية الصينية الحديثة للمخلص	الأطروحة المهدوية الإسلامية
المصدر	الدولة القومية أو الحزب الحاكم	الغيب والإرادة الإلهية
الغاية	رفاهٌ ماديٌّ قوميٌّ وقوة اقتصادية	عدالةٌ مطلقةٌ وخلاصٌ شامل
الوسيلة	تخطيطٌ مركزيٌّ وتدرجٌ تاريخي	تحولٌ جذريٌّ وثورةٌ قيمية
الزمان	دوريٌّ تراكميٌّ يعيد أمجاد الماضي	زمنٌ خطيٌّ موجهٌ نحو الغاية
النطاق	دولةٌ قوميةٌ ذات امتدادٍ اقتصادي	عالميٌّ شاملٌ لكل البشرية
القيادة	الحزب الحاكم	الإمام المعصوم (عج)
دور الفرد	عضو في وحدةٍ إنتاجيةٍ جماعية	كائنٌ مسؤولٌ أخلاقياً أمام الله
العلاقة مع الآخر	علاقاتٌ مصلحةٌ ونفعيةٌ	أخوةٌ إنسانيةٌ ومساواة
البُعد الروحي	غياب شبه تام	مركزيةٌ وجوديةٌ وروحية



البعد المقارن	الرؤية الصينيّة الحديثة للخلاص	الأطروحة المهدويّة الإسلاميّة
الجوهر	كيف نعيش؟ (المعيشة والتنظيم)	لماذا نعيش؟ (المعنى والغائيّة)
النزعة الإنسانيّة	أداء وظيفيّ في خدمة التنمية	كرامة متأصّلة واستخلاف

الخلاصة الاستراتيجية

تكشف هذه المقارنة أنّ النموذج الصيني يمثّل إجابةً ماديّةً عن سؤال التنمية والقوّة، لكنّه يعجز عن تقديم إجاباتٍ شاملةٍ عن الأسئلة الوجوديّة الكبرى.

أمّا الأطروحة المهدويّة، فترسم مشروعاً خلاصيّاً متكاملًا، يجمع بين المادة والروح، الفرد والجماعة، القوميّة والكونيّة. وإنّ كان النموذج الصيني يصلح كاستراتيجيةٍ فعّالةٍ للنهوض المادي، فإنّ المهدوية تقدّم رؤيةً حضاريّةً كليّةً (كمشروعٍ خلاصيٍّ شاملٍ للإنسانية) تستهدف إعادة تشكيل الإنسان والمجتمع والعالم على أسس العدل الإلهي، وتحقيق الأمانة الكبرى للبشريّة.

من منظورٍ استراتيجيّ، يمكن عدّ النموذج الصيني مرحلةً بدائيّةً في تطوّر مفهوم الخلاص، بينما تمثّل المهدويّة النموذج الأمثل والأكمل للخلاص الشامل، الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويحقّق التوازن بين الغاية الروحيّة والمطلبات الماديّة، ويسهم في بناء (الحضارة الفاضلة) بالمفهوم المعنوي والأخلاقي والمادي.

المحصلة النهائية

تفتقر الرؤية الصينية للخلاص إلى البُعد الإنساني الشامل الذي يجمع بين الروح والمادة، والوجود والمعنى، كما تفتقد إلى نظرةٍ كونيةٍ عادلةٍ تتجاوز المصالح القومية. وتزداد هذه الفجوة وضوحًا عند مقارنتها برؤية كالمهدوية، التي تقدّم لغة القيم المطلقة وتخطب الفطرة الإنسانية والعقل البشري.

وبضرسٍ قاطع، يمكن القول إنّ الإيمان بالمهدوية - لا بوصفها عقيدةً دينيةً فقط، بل منظومة قيمية إنسانية - يُعدّ إجابةً متفوقةً على الإشكالات العميقة في التصرّ الصيني. فالمهدوية تقدّم مشروعًا يحقق الانسجام بين المادة والروح، ويمنح الإنسان كرامة وهدفًا، ويؤسس لرؤية خلاصٍ تتجاوز الجغرافيا والتاريخ، نحو حضارةٍ فاضلةٍ لم تشهدا البشرية مسبقًا.

خلاصات استراتيجية

أسفر الغوص الفكري في أعماق الرؤية الصينية للخلاص عن جملة من الدلالات الاستراتيجية التي تكشف عن مسارٍ مغايرٍ لمفهوم الخلاص الشامل؛ مما يضعنا أمام مقارنة نقدية عميقة لطبيعة الخلاص المادي وحدوده في مقابل الأطروحة المهدوية الشاملة. ومن هذا المنطلق، يمكن استخلاص جملة من الخلاصات التي تلامس صلب الإشكالية، وتفتح آفاقًا جديدةً للبحث والحوار:

أولاً: النتائج الرئيسة

١ - التباين الجوهرى في المرجعية: بينما تنطلق الرؤية الصينية من مرجعية أرضية مادية صرفة، تقوم على الإرادة البشرية والتخطيط المركزي، تستند المهدوية إلى مرجعية سماوية تجمع بين الإرادة الإلهية والفعل البشري؛ مما يمنحها عمقًا وجوديًا وشمولاً إنسانيًا.



٢- الاختلاف في الغاية والنطاق: تقتصر رؤية الصين للخلاص على إطارٍ ماديٍّ وقوميٍّ مغلق، يهدف إلى استعادة المجد الحضاري والسيادي، في حين تتطلع المهدويّة إلى خلاصٍ إنسانيٍّ شامل، يزيل الظلم عن البشريّة جمعاء.

٣- القصور الروحي والمعنوي في الخلاص الصيني: يكمن أخطر قصور النموذج الصيني في افتقاره للبُعد الوجودي والأخلاقي؛ ممّا يخلق فراغاً وجودياً تحت مظلة النجاح المادي، ويعجزه عن الإجابة عن الأسئلة الكبرى حول معنى الحياة والغاية من الوجود.

٤- الفارق في الآليات والوسائل: تتبنى الصين منهج التدرّج التاريخي التراكمي بقيادة بشريّة، بينما تعتمد المهدويّة على التحوّل الجذري الشامل بقيادة معصومة، من غير أن تلغي الجهد البشري التمهيدي، بل تدفع نحو إصلاح الواقع استعداداً للإصلاح الأكبر.

تكشف المقارنة النقدية أنّ النموذج الصيني الحالي للخلاص يمثل إجابةً فعّالةً على مستوى التنمية الماديّة والقوة الوطنيّة، لكنّه يظلّ قاصراً عن تقديم رؤيةٍ حضاريّةٍ شاملةٍ تلبيّ الحاجات الإنسانيّة الأصيلّة. في المقابل، تقدّم المهدويّة مشروعاً خلاصياً متكاملًا، قادراً على تجاوز الحدود القوميّة والزمنيّة؛ ممّا يجعله أنموذجاً أفضل وأكمل للحضارة الإنسانيّة المنشودة، القائمة على العدل والتوازن بين متطلبات الجسد والروح.

ثانياً: التوصيات الاستراتيجية

١- تعزيز الحوار الحضاري حول مفهوم (المخلص الموعود): السعي نحو فتح حوارٍ فلسفيٍّ بليغٍ ودقيقٍ مع المدارس الفكرية الصينية والحضارات الأخرى، للكشف عن النقاط المشتركة في مفهوم (العدالة). ويهدف هذا الحوار إلى إبراز قدرة الرؤية المهدويّة على استيعاب وتلبية الحاجات الروحيّة والفطريّة للإنسان، مع تقديم المهدويّة بوصفها رؤيةً متكاملةً قادرةً على مخاطبة الهموم الإنسانيّة الأساسيّة.

٢- تطوير خطاب مهديّ معاصر لتعريف الحضارات الأخرى على المهدويّة^[١]: العمل على صياغة خطابٍ جديدٍ بلغةٍ تفتح على الهموم الإنسانية المشتركة، كالعدالة والكرامة والسلام العالمي؛ مما يجعله خطاباً إنسانياً شاملاً يتجاوز الانغلاق القوميّ أو الحضاري، ويتضمن ذلك عرض المهدويّة بلغةٍ حضاريّةٍ وبصيغٍ قابلةٍ للتطبيق في سياقاتٍ ثقافيّةٍ متنوّعة.

٣- تكثيف الدراسات المقارنة لشخصيّة المخلص الموعود: إطلاق مشاريع بحثيّة مشتركة تركز على دراسة مفهوم (المنقذ) في الحضارات المختلفة، ومقارنته بالأساطير المهدويّة، انطلاقاً من الحضور الراسخ لهذه الفكرة في الأسس الفكرية لمعظم الحضارات. تفتح هذه الدراسات آفاقاً جديدة، وتمثّل مدخلاً مهماً لفهم المشتركات الإنسانية الأساسيّة ودور الرمز في تحريك المجتمعات.

٤- الاستفادة المتبادلة من الرؤى الخلاصيّة المختلفة: تشجيع الباحثين على دراسة سبل إدماج الأبعاد الروحيّة ضمن النماذج الماديّة (كالنموذج الصيني)، وفي المقابل الاستفادة من أدوات النهضة الصينيّة والتخطيط الاستراتيجي طويل المدى كآليات عمليّة لإعداد الأرضيّة المناسبة لظهور الدولة العادلة، دون تبني الرؤية الفلسفيّة الماديّة المصاحبة لها.

تهدف هذه التوصيات إلى تحويل البحث النظري إلى مشاريع عمليّة تعزّز التفاهم المتبادل بين الحضارات، وتقديم إجاباتٍ عن إشكاليات الخلاص في عالم متعدّد الثقافات. كما تسهم في بناء رؤى مستقبلية تتجاوز الثنائيات الضيقة: (الماديّة مقابل الروحيّة) أو (القوميّة مقابل العالميّة)، نحو نموذجٍ خلاصيٍّ أكثر توازناً وشموليّة.

[١] السادة، مجتبي، تعريف المهدويّة للحضارات الأخرى، ص ٢٣-٦١.



ثالثاً: الآفاق المستقبلية

إنّ دراسة مفهوم الخلاص في الفكر الصيني ومقارنته بالرؤية المهدويّة الإسلاميّة، تفتح أمام الباحث الإسلامي آفاقاً فكريةً وثقافيةً جوهريةً يمكن توظيفها في مشروع تعريف المهدويّة للحضارات الأخرى، كما تسهم في رَفْد الثقافة المهدويّة المعاصرة بمدارك جديدة، وذلك على النحو الآتي:

١- بناء حوار حضاريّ متبادل حول فكرة الخلاص: تبرز ضرورة بناء هذا الحوار، إذ تكشف الدراسة عن أنّ المقارنة بين المهدويّة الإسلاميّة والرؤى الخلاصيّة الشرقيّة (كالصينيّة والهنديّة والروسية) تفتح مجالاً رحباً لحوار ثقافيّ عالميّ حول معنى العدالة المطلقة والمستقبل المشرق، بعيداً عن الثنائيات العقديّة المغلقة. فالمهدويّة تُقدّم هنا بوصفها رؤيةً توحيديةً إنسانيةً تسعى إلى إنقاذ العالم من خلال قيمٍ مشتركةٍ كالعدل والكرامة والسلام.

٢- تحويل البحوث المقارنة إلى مشاريع علميّة مشتركة: من المهم تحويل البحوث الفكرية المقارنة إلى مشاريع علميّة مشتركة بين مراكز الدراسات الإسلاميّة والآسيويّة، بما يتيح فهماً أعمق لمفهوم (المخلّص) في التجارب الحضاريّة المختلفة. إنّ مثل هذه المقارنات تُنشئ تفاعلاً علمياً مثمرًا بين الشرقيين الإسلامي والآسيوي، ويسهم في بناء قاعدةٍ فكريةٍ عالميّةٍ لفهم البنية النفسيّة والروحيّة للشعوب، وتوسيع أفق الخطاب المهدويّ المعاصر.

٣- إعادة تعريف المهدويّة في سياق عالمي: تبرز الحاجة إلى إعادة تعريف المهدويّة في سياق عالميّ متعدّد الثقافات، بحيث تُقدّم للعالم فكرةً حضاريّةً شاملةً تتجاوز الإطار الديني الخاص، لتغدو مشروعاً إنسانياً شاملاً للعدالة والرحمة والمستقبل المشرق للبشريّة. فاستيعاب النماذج الخلاصيّة الشرقيّة يساعد الباحثين الإسلاميين على تقديم المهدويّة بلغةٍ يفهمها العالم، دون التفريط في جوهرها العقدي والروحي.

٤- الاستفادة العملية من التجارب الحضارية الشرقية: يمكن الاستفادة من التجارب الحضارية الشرقية، ولا سيما الصينية، في الجوانب العملية للتقدم المادي والتخطيط طويل المدى، مع الحفاظ على الأصالة الروحية التي تميز المهدوية الإسلامية، فهي تمثل نموذجاً توازياً يجمع بين التنمية المادية والخلاص الروحي، بل يوجه أدوات التنمية الحديثة نحو خدمة الغاية الإلهية في إقامة الدولة العادلة.

٥- تأسيس خطابٍ مهدويٍّ عالميٍّ معاصر: إنَّ التعرف على مفاهيم الخلاص في الشرق (الصين، والهند، وروسيا وغيرها) يفتح الطريق أمام خطابٍ مهدويٍّ عالميٍّ معاصرٍ يتحدث بلغة الشعوب وثقافتها، لا بلغة الدين والعقيدة فقط، وهذا يحول المهدوية إلى قوة فكرية ناعمة تعبر عن تطلعات البشرية نحو العدالة والسلام والكرامة، وتكون قادرة على التأثير في الرأي العام العالمي، وتؤسس لمرحلة جديدة من التواصل الإنساني القيمي بين الإسلام والعالم.

تهدف هذه الآفاق إلى تحويل المهدوية من مفهوم ديني وعقيدة خاصة بالمسلمين إلى مشروع حضاري إنساني مفتوح، قادر على استيعاب إيجابيات الحضارات الشرقية ومعالجة سلبياتها، مع تقديم رؤية متكاملة تلبي الحاجات الإنسانية الشاملة؛ مما يعزز حضورها في الخطاب الثقافي العالمي.

الخاتمة: نحو خلاص إنساني شامل

إنَّ القراءة الاستراتيجية للرؤية الصينية الحديثة للخلاص تكشف عن نموذج قوي في مجاله، لكنه يظل خلاصاً مبتوراً؛ إذ يطعم الجسد ويجوع الروح، ويبني الدولة ويهدم المعنى. في المقابل، تقدم المهدوية الإسلامية مشروعاً خلاصياً هو الأشمل والأكمل؛ لأنه يستجيب لتعقيد الكينونة الإنسانية بجوانبها المادية والروحية، والفردية والجماعية، والدنيوية والأخروية، ويعيد للحياة توازنها المفقود.



إنّ التحدّي الذي يواجه الفكر الإسلامي المعاصر هو كيفية تحويل هذا الكنز العفدي (المهدويّة) إلى مشروع استراتيجي حيوي، يخاطب شعوب العالم بالعقل والقلب، ويعمل كقوة ناعمة تؤثر في الرأي العام العالمي، متفاعلاً مع معطيات العصر، وقادراً على تقديم أجوبة مقنعة عن أسئلة الإنسان الوجوديّة.

فالمهدويّة بوصفها رؤية إلهيّة للخلاص، تمثل استشرافاً لمستقبل يليق بالإنسان؛ مستقبل تتحقّق فيه العدالة المطلقة، لا كشعار سياسي، بل كحقيقة واقعيّة تشعّ من وعد الله الذي لا بد أن يتحقّق، كما قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^[١]، وقوله عزّ وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^[٢].

[١] سورة القصص: ٥.

[٢] سورة الأنبياء: ١٠٥.

المصادر:

وخير ما نبتدى به القرآن الكريم.

١. بارندر، جفري، المعتقدات الدينيّة لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، يوليو ١٩٩٥م.
٢. بومعرف، نسيبة الطيب، الآخر في الفكر الديني الصيني من خلال النصوص التأسيسية، رسالة ماجستير، برنامج الأديان وحوار الحضارات، كلية الشريعة، جامعة قطر، مايو ٢٠٢٢م.
٣. جاردنر، دانيال كيه، الكونفوشيوسية، ترجمة: أسماء الطيفي، الناشر: مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٤م.
٤. رسلان، صلاح بسيوني، كونفوشيوس-رائد الفكر الإنساني، الناشر: كتب عربية، القاهرة، مكتبة إلكترونية.
٥. ريتشارد كيرت كراوس، الثورة الثقافية الصينية، ترجمة: شيماء طه الريدي، الناشر: مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٤م.
٦. السادة مجتبى، تعريف المهدوية للحضارات الأخرى، الناشر: دار أطياف - القطيف، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.
٧. سانغ جي، الأديان في الصين، ترجمة: تشنغ يوه رونغ وآخرون، دار النشر الصينية عبر القارات، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٨. ستوارت، لون، مدنيو آسيا في زمن الحرب- من ثورة التايينغ إلى حرب فيتنام، ترجمة: أحمد لطفي، الناشر: مشروع كلمة- أبو ظبي، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
٩. سميث، هوستن، أديان العالم، تعريب: سعد رستم، الناشر: دار الجسور الثقافية، حلب - سوريا، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧م.
١٠. السوّاح، فراس، فصول من الفلسفة الصينية-مع النص الكامل لكتاب الحوار لكونفوشيوس وكتاب منشيوس، الناشر: مؤسسة هنداي، المملكة المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٢م.
١١. فالح مهدي، البحث عن منقذ: دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١م.



١٢. فرجاني، محسن، الكتب الأربعة المقدّسة، ترجمة للعربيّة، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٣م.
١٣. كريل هـ. ج، الفكر الصيني - من كنفوشيوس إلى ماو تسي-تونج، ترجمة: عبد الحميد سليم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧١م.
١٤. كولر، جون، الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مايو ١٩٩٣م.
١٥. كيون، داميان، البوذية، ترجمة: صفية مختار، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٣م.
١٦. لاو تسي، التاوتي تشينغ - إنجيل الحكمة الطاوية في الصين، ترجمة: فراس السواح، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٣م.
١٧. لاو تسي، تاو-تي-كنج كتاب الطريق والفضيلة، ترجمة: عبد الغفار مكاوي، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٢م.
١٨. لاو تسي، كتاب الطاو، ترجمة: محسن فرجاني، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠٢٤م.
١٩. ليوجون تيان ولين سونغ ويوكيكون، محاورات كونفوشيوس، ترجمة: محسن فرجاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٠. مجلة (بناء الصين) بكين، تاريخ الصين، الجزء الأول، سلسلة كتب (سور الصين العظيم)، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.
٢١. مورال، جون وتامارا صن، أشهر ٥٠ خرافة عن الأديان، ترجمة: فايقة جرجس حنا، الناشر: مؤسّسة هنداوي، المملكة المتّحدة، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
٢٢. هوخام، هيلدا، تاريخ الصين-منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المشروع القومي للترجمة- القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
٢٣. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، باللغة العربية والانجليزية، مواضيع عديدة. <https://en.wikipedia.org>

المصادر الأجنبية:

24. Cleary, Thomas, The Flower Ornament Scripture (Avatamsaka Sutra), Publisher: Shambhala – London, Edition 1993.
25. Encyclopedia Britannica (الموسوعة البريطانية) <https://www.britannica.com> .
26. Johnston, Ian, The book of Master Mo (MO ZI), Publisher: Penguin Classics - UK, First Edition Nov, 7, 2013.
27. Max Muller M.A, The Land of Bliss, Oxford – Clarendon Press, May 1883.
28. Prajna-Paramita, The Diamond Sutra, Publisher: Kegan Paul-London, Edition 1912, Pages 160.
29. Szczepanski, Kallie, Thought Co. People Inc. NY-USA, 2018. The Yellow Turban Rebellion in China - <https://www.thoughtco.com/the-yellow-turban-rebellion-195122>
30. Williams Wells, A History of China – being the historical chapters from “the middle kingdom”, Publisher: Kessinger Publishing-USA, Edition 2008.

